

**الشعر السعودي المعاصر
تجليات العروبة في شعر
عبد الله باشراحيل**

بطاقة فهرسة

عبد الفتى ، مصطفى .
تجليات العروبة فى شعر عبد الله
باشراحيل : الشعر السعودى المعاصر ،
مصطفى عبد الفتى . - (الجيزة) : هلا
للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٧ .
١٥٠ ص : ٢٤ سم .
تدمك × ٢١٤ ٢٥٦ ٩٧٧
١ - الشعر العربى - السعودية تاريخ
ونقد . ١٠ - العنوان
٨١١ ، ٩٥٢١ •

اسم الكتاب : تجليات العروبة فى شعر عبد الله باشراحيل
تأليف : د. مصطفى عبد الفتى
الناشر : هلا للنشر والتوزيع
٦ شارع الدكتور حجازى الصحفيين - الجيزة
تليفون : 3041421 فاكس : 3449139
البريد الإلكتروني : www.halapublishing.com
hala@halapublishing.com
رقم الإيداع : 2006/20114
الترقيم الدولى : X - 214 - 356 - 977
تصميم الغلاف : كامل جرافيك
الإخراج الفنى : ابراهيم أحمد خليل
طباعة : هلا للنشر والتوزيع
الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

الشعر السعوى المعاصر

تجليات العروبة
فى شعر
عبد الله باسرا حيل

د. مصطفى عبد الغنى

الفهرس

٧	مقدمة
١٧	الفصل الأول : من الرومانسية إلى العروبة
٥٢	الفصل الثاني : الخروج إلى زمن العروبة
	الفصل الثالث : عن العروبة وغياب فلسطين ومواجهة
٩١	"الإمبريالية"
١١٥	الفصل الرابع : العروبة .. "القلائد" و"الجراح"
١٣١	ملاحق

مقدمة

لماذا هذا الكتاب عن الشعر السعودي المعاصر؟
وفى الإطار نفسه - بالتبعية - لماذا هذا الكتاب عن الشاعر عبد
الله باسراحيل؟
هذا هو السؤال الذى يفرض نفسه على الناقد - دعك من القارئ
المعاصر -

فقد عرف الشاعر العربى عبد الله باسراحيل العروبة وتجلياتها،
وهجر مبكرا هذا الحس الرومانسى الذى يلزم الشعراء فى أولى
مراحل حياتهم، حين يلهجون بالحنين، و الغربة والاغتراب، دونما
الانتباه لما يسيطر على حياتهم من دواعى الشر بواعثه..

ليس هذا فقط أول الدوافع لإخراج هذا الكتاب.

فقد سعينا لفهم (خطاب) شعرى متميز، يولى صاحبه أهمية
قصوى للعروبة، ويحث عليها ويدفع إليها، كحائط حماية صلد، فى
مواجهة الغرب الشرس الذى يريد أن يهدم كل شئ ويسيطر على كل
شئ .

ولانستطيع التوقف عند الشاعر عبد الله باسراحيل دون أن نتمهل
عند موقعه فى خارطة الشعر العربى فى العصر الحديث..

ومنذ البداية يمكن إن نلاحظ أن هناك تياراً سلفياً إحيائياً كان
يسعى ليحاكى مثيله فى الأقطار العربية الأخرى، من أمثال محمد بن

عبد الله بن عثيمين، وأحمد الغزاوي، وفؤاد شاکر، وعبد الله بن خميس، وما لبث أن أعقبه تيار تجديدي ثان كان من أبرز دعائه في الأدب السعودي محمد حسن عواد، (الجدير بالذكر أننا نجد تشابها واضحا بين تيار العواد في المملكة السعودية وجماعة أبوللو في مصر) وهنا - وهو ما تقترب معه من شاعرنا - نلاحظ في الخارطة الشعرية تياراً رومانسياً جديداً تحدت تجاربه في السبعينات، وتعددت رموزه في ظاهرة شعرية- فيما بعد - سعت إلى التجديد والفرار من أسر السلفية التقليدية الرومانسية، كان من أبرز رموزها عبد الله باسراحيل .

ويلاحظ النقاد أنه تميز بين أصحاب هذا التيار بأهمية الموضوعات، وفخامة التعبير عنها، كما تأثر هؤلاء الشعراء وهو من أهمهم، بمدارس التجديد في الشعر العربي الحديث مثل الديوان والمهجر، وبدعوة أبولو التي كانت تتادي بالتعبير عن عواطف الإنسان ومشاعره، والتعبير عن الحياة والكون، من خلال مشاعر وقلب الشاعر، لا من خلال تفكيره وعقله؛ كما تأثروا بالمزاج الرومانسي الذي صبغ نفسية الشباب العربي من قبل.

والواقع أننا لانستطيع أن نشير إلى التيار الكلاسيكي الأول والثاني، دون أن نلاحظ الأثر الرومانسي الذي كانوا ماضين فيه، وإن لم يأخذ الاهتمام الأول، فدارس هذه الفترة يلاحظ أن القصيدة في المملكة في هذه المرحلة، دخلت مرحلة جديدة ومهمة على يد عدد من زملاء العواد ومجايليه، ومنهم: حسين سرحان، حمزة شحاتة، حسين عرب، محمد حسن فقي، إبراهيم الفلالي، أحمد قنديل، طاهر زمخشري.

ومع أن التيارات الأولى تأثرت بمدارس التجديد فى الشعر العربى الحديث، مثل الديوان والمهجر وأبوللو، وبهذا التيار الرومانسى الجديد، فقد ظلت السمة التقليدية ظاهرة عند هؤلاء، فإن التأثير الحقيقى بالرومانسية والرؤية الشعرية الواعية بدا أكثر وضوحاً فيما بعد - فى جيل السبعينات.

ولا نستطيع الإشارة الى موقع تيار عبد الله باسراحيل فى الخارطة الشعرية، وفى تطوره الأخير- كما سنرى - دون أن نشير إلى عدة تيارات سبقته يمكن الإشارة إليها على النحو التالى :

- التيار السلفى الإحيائى

- التيار الإحيائى الجديد

- التيار الرومانسى

- تيار الواقعية الجديدة والحدثة الشعرية

وليس معنى ذلك أنه (أول) كتاب عنه، وإنما هو (أول) كتاب، يولى العروبة وتجلياتها فى شعره الاهتمام الأول، فقد كتب عن باسراحيل الكثير من كتب النقد، وأكثر منها ما كتب فى الصحف والمجلات السيارة، وقيل عنه الكثير فى الندوات الشعرية أو التكريمية، غير أن الحس العربى لم يأخذ الاهتمام الكافى لدى نقاده وكتابيه.

ويعود هذا كله إلى أن العروبة لم تعان خطراً، مثل الذى عانته فى نصف القرن الأخير فى العصر الحديث، ففى حين كانت إرهابات العروبة فى العصر الحديث تُبَلَّورُ فكرياً عبر أحداث كثيرة فيما مضى، فإنها أصبحت اليوم تتطور وتتماهى مع أحداث خطيرة تهدد حاضر

المنطقة، والصيرورة التي تذهب بنا الى المستقبل وهى حالة لم نعد نتعرف فيها على العروبة باللغة والثقافة - كما نعرف فى المصطلحات - التي حاول الخروج بها عدد من مثقفينا فيما مضى، وإنما أصبحنا أمام خطر داهم، مع الخطر الأمريكى السافر وقبلة وبعده، الخطر الصهيونى الجارف، لكل قيم الوعى بالتوحد .

لقد لاحظ شاعر السبعينيات - وعبد الله باسراحيلى أحد أهم رموزه - أن إعادة تشكيل الرؤية الشعرية، هو مابقى أمام الشاعر الرومانسى، وهو يشهد هول الهزائم على الوطن العربى

(..على سبيل المثال: هزيمة ٦٧، أحداث سبتمبر ٧٠، كامب ديفيد ٧٩، غزو لبنان ٨٢، حرب العراق على إيران ٨٠-٩٠، غزو الكويت ٩٠، تمزق العرب عقب سقوط جدار برلين ٩١، الصراعات العربية فى التسعينيات، غزو العراق، رحيل ياسر عرفات، مخاطر تقرير ميليس .. إلخ).

إن نصف القرن الأخير خصوصاً، ترك أمامنا إشكاليات جديدة، هو ما يفرض علينا أن نعيد طرح قضايا العروبة، وخاصة الوحدة والتجزئة، على نحو جديد، منطلقين من أن مسألة إنجاز الدولة الوطنية الحديثة هي جوهر تلك القضايا.

ومن هنا تبدو أهمية تجديد الخطاب النهضوي العربى، فى ضوء الأحداث الجديدة وعلى قاعدة: أن الدولة الوطنية القطرية الديمقراطية، تشكل أساس دولة الأمة الحديثة.

ونقترب من الإجابة - كما يتردد لدى مفكرينا - : لم تكن الحرب على العراق واحتلاله، كما لم تكن ضمانات إدارة بوش

لإسرائيل، ببقاء الكتل الاستيطانية داخل الضفة الغربية، بما يستحيل معه قيام دولة فلسطينية قابلة للحياة، ولم يكن إخفاقنا في التنمية الإنسانية في مجالات الحرية، ودور المرأة ومجتمع المعرفة، لم يكن كل ذلك بداية لأزماتنا، ولا نهاية لمصائبنا، إنما هو مرآة مكبرة لتقاعسنا عن إصلاح أنفسنا، ولعجزنا عن تشكيل أفضل لمجتمعاتنا، ولتكاثرنا في عملية الذود عن موقعنا في العالم. إنها مرآة لواقعنا، وصورة عن اللامبالاة بضرورة التغيير، وعن غياب التضامن العربي الفعلي والمجدي، وعن التلكؤ في دخول العصر.

وهو ما يقترب بنا أكثر من الإجابة عن السؤال.



لقد نجح عبد الله باسراحييل، أن يهرب من الإشكاليات التي كانت وراء ابتعاد القارئ عن الشعر الحديث، فهو حين كتب القصيدة الكلاسيكية لم يقع في براثن "السيمترية" التقليدية التي لم تعد مفيدة لعصر الفضائيات، كما أنه مارس قصيدة التفعيلة (على سبيل المثال في ديوانه أنفاس الورق)، وإن يكن أقل من قصيدة البحور الكاملة (في أغلب ما كتب)، وذلك ليصل إلى القارئ بإيقاع جديد، ويصل بالخطاب الشعري، بما ييسره له الفهم الحديث لهدف الشعر، فهو في حين راح يرضى الذائقة العصرية، لم يسقط في خديعة التقليد القديم، فحين راح يتلمس شعر التفعيلة، بل والشعر الحديث في بعض الأحيان، لم يغفل الواقع القاسي الذي يدفع القارئ إلى الهروب، كما أنه يمكن أن نسجل له أنه - وهو ابن تيار السبعينيات في الشعر - لم يسقط في الرومانسية المجهضة التي كانت قد استهلكت نفسها بترديد

معان التمرد والغربة والحزن الميتافيزيقى، بل ذهب إلى التمرد الإيجابي لقضايا العصر على مستوى البنية أو الدلالة، وهو ما يعكس إيمانه القوى بالعروبة.

لقد كان الشاعر هنا رد فعل لعصره، وليس تمثيلاً قديماً لزمان مضى.

لقد سعينا هنا إلى رصد هذا الوعي فى تطوره، منذ بداية ممارساته الشعرية خصوصاً فى ديوانيه الأولين (معذبتى ١٩٧٨ - ١٣٩٨ الهوى قدرى ١٩٨٠ - ١٤٠٠) من محاولة استعادة الحنين للحبيبة أو العشيقة، إلى وعيه الصاعد بطفرات التنبه، لما يحدث لوطننا العربى من نكسات وهزائم، ففى تحوله من الحنين الرومانسى إلى الأنين الإنسانى تمهل كثيراً عند العروبة التى يراد تغييبها.

(من النبع الضامى إلى الخوف فى نهايات الألفية الثانية، إلى قناديل الريح وقلائد بدايات الألفية الثالثة)، بكل مافيه من أخطار العولمة والظلم الاجتماعى والتدهور الخلقى.. إلخ.

لقد كانت ويلات الحاضر، دافعا للشاعر لتظهر قصائد زاهرة بالغضب حيناً وبالحنن القاتم حيناً آخر، وبإثارة الفعل والحركة فى مواجهة تحديات الحاضر مرات كثيرة.

ويمكن أن نقول: إن أهم مظاهر هذا التحول ونجاحه، بدا أكثر ما بدا فى فعل الشعر الذى لم يتخل فيه عن القواعد العربية، مع تطويرها فى إطار (الهوية)، وفى الوقت نفسه راح يمتاح من التراث، خصوصاً استخدامه لمعجم عربى جزل ودال وبسيط فى آن واحد، راح يوظفه، ثم تلمسه للشخصيات العربية التى تؤكد وعيه

العروبي، وحسبنا أن نذكر هنا كرد فعل غاضب وحزين قصيدة (هانحن نعلن موت العرب)، حين راح يستخدم فيها، منذ السطر الأول ما أصبحت عليه الشخصية العربية متمثلة في شجاعة قول الفارس العربي معدي كرب، يقول :

مجازاً لأنت

ابن معدي كرب

لأنك تحيي

موات العرب

تتاديهم في خضمّ السكون

وتسكنهم في جحيم الغضب

فلا الشام تمنحهم أرضها

ولا القدس

أو مصر

أو في الحجاز لهم منقلب

أضف إلى ذلك، تلك البراعة في استخدام الدلالة بشكل إنساني، يستوعب الحس العروبي، ويعيد صياغته بشكل عصري وواع.

وهو الاستخدام الذي بدأت فيه العروبة تتحدد أكثر، وتتجدد في مفرداتها وأخيلتها أمام الخطر المحيط بها من كل جانب، وليست مصادفة أن نلاحظ أن النقاد يقرنون بين باسراحيل والمتنبى، أو أن

يقول باشراحيل فى أحد أحاديثه بشكل عفوى إن أكثر الشعراء قرباً منه هو المتنبى، لقد وجد الشاعر العصرى نفسه أمام مخاطر تحدى العروبة والعقيدة، مما شحذ لديه الحس الحاد برد الفعل.

فكما لاحظ دارس المتنبى، أن تجربة المتنبى قبل ألف عام، كانت قائمة بذاتها إزاء المخاطر التى أحاطت بها، كذلك يلاحظ دارس باشراحيل أن تجربة الشاعر العربى بعد أكثر من ألف عام، تتعدد وحدة التعبير فيها، كما تتحدد وحدة المخاطر.

ليس صحيحاً أن نقول إن باشراحيل هو (نسخة) أخرى من المتنبى، وإنما الأجدى والأصح أن نقول إن قرب باشراحيل من المتنبى فى العصر الحديث، يعكس قرب مخاطر العصر و(الإمبريالية) المجنونة على العروبة التى زاد أعداؤها وتعددت أوطانها .

تحددت الفترة الزمنية بينهما - أكثر من ألف عام - وتعددت المخاطر فى عصر كل منهما ..

كانت المخاطر واحدة، وأكثرها كان غياب الحس العربى، وتفكك الأقطار العربية، لقد اختلف الزمان، والعروبة تواجه اليوم - كما واجهت بالأمس- تحديات هي الأخطر فى البحث عن المستقبل، لشعوب عربية مقهورة بالاحتلال الأجنبى مرة، والغزو الأجنبى مرة، والقمع الداخلى مرة، إلى غير ذلك من المرات التى تتكاثر لتمثل الخطر الذى لا نلتفت إليه برغم ما يحمله لنا .

هذاعن بواعث كتابه هذا البحث، الشاعر والعصر (= غياب العروبة) أما عن المصاعب التى واجهتنى، أثناء كتابة هذا البحث، فهى تعود إلى

الألم الذى عانيته - على المستوي الشخصى - إبان صياغة هذه المحاولة، لقد كانت تؤثر فى كثيراً مجازر (الإمبريالية) الأمريكية فى العراق، وغياب وعى عربى أدنى فى مراحل التششت والتقسيم الذى كان يحدث بفعل الوعى القاصر، بين المذاهب والأقليات والخلافات، وضعف الحكام وتغيب الشعوب، وتطويع الفضائيات ودعوات الشراكة الغربية، وضعف التنمية، وتهالك الاقتصاد، وتخطب الجامعة العربية، إلى غير ذلك مما كنا نعانيه بشكل سلبي إبان تحول العولمة من (عصر العولمة)، إلى (عسكرة العولمة)، ومن ثم ،إلى تغيب الحس القومى وتأكيد التجزئة بين الأقطار العربية.



بقى أن أشير إلى المنهج الذى التزمت به، فقد سعت، منذ البداية، إلى الإفادة من مفهوم (الدلالة) أكثر من التشكيل الفنى، ورغم أنه يمكن الوصول إلى الدلالة من خلال التقنيات الفنية، وأن الدلالة فى تجلياتها يمكن أن تماثل الكيفية الأساسية للتشكيل الشعري، حين تأخذ تباينات فى الأسلوب والبنية واللغة والشخصيات.. وما إلى ذلك.

وفى هذا الإطار سعت إلى نهج كان يقترب من المنهج التكاملى أو الإفادة منه، مركزا على قضيتى الأساسية هنا، حول تجليات العروبة، وهو ما تصل إليه الدلالة - مع الوضع فى الاعتبار - تحسبات فنية أخرى - عبر الصراع الذى تعيشه أمتنا المتشرذمة إزاء (الامبريالية) فى بداية الألفية الثالثة.

وهو ما يعود بى إلى التعامل مع المرحلة الرومانسية للشاعر، فى

رصد تجليات العروبة، خصوصاً في تحول التيار الرومانسى، إلى مفهوم إنسانى أعمق، مما يوصل بين الوعى النقدى والوعى العربى، بين الذات والآخر، بين الشرقى والغربى اللذين لن يلتقيا فى تعبير كبلنج شاعر الإمبراطورية.

هذه محاولة لرصد تيار الشعر السعودى المعاصر ..

وهذه محاولة لرصد أحد موجات العروبة فيه ..

وبعد، قد يكون من المهم أن أشير هنا، إلى أننى اكتفيت (بالمراجع والمصادر) فى هوامش كل فصل، دون أن أعيد تصنيفها فى نهاية الكتاب، وأن أحيل القارئ الكريم إلى نصوص الشعر خارج المتن والهوامش معا، إلى الشاعر نفسه.

فأرجو أن أكون قد وفقت فيما حاولت الذهاب إليه ..

ولله الامر من قبل ومن بعد.

د. مصطفى عبد الغنى

الفصل الأول

من الرومانسية إلى العروبة

عبد الله باسراحييل: شاعر عربى كبير. ولد فى مكة بعد نكبة ١٩٤٨، ومن ثم، فقد عاصر جيل الحداثة العربية منذ عرف الرومانسية الحزينة وعاش فيها، ثم أضاف إليها الواقعية العاتية التى فرضتها عليه الهزائم العربية. هذه السنوات التى مرت على الأمة العربية الإسلامية فى النصف الثانى من القرن العشرين، حتى بدايات هذا القرن - الحادى والعشرين - ومن هنا، يمكن أن نجد فى وعيه الشعرى مزيجاً من المشاعر التى تبدو رومانسية فى الظاهر، لكنها لا تلبث، أن تظهر ماتحتها من واقعية مسرفة فى التشاؤم، ومن ثم، يصعب الفصل فى التصنيف النقدى، بين هذه المادة الشعرية التى اختلطت فيها الرومانسية بالحس القومى، وأقصى ما يمكن الوصول إليه، أن نحسب أن الرومانسية فى الفترة الأولى من كتاباته الشعرية، فى نهاية السبعينيات، رومانسية خالصة .

بيد أننا لا نلبث مع الوقت، أن نلاحظ شحوب الرومانسية وتقدم الواقعية الدامية، رغم أن نثار الرومانسية كان لا يزال فى جوف تيار الرومانسية السارى ..

وإذا أردنا مراجعة مصطلح الرومانسية فى كثير من المعاجم والاجتهادات، فسوف نجد أن أغلبها لا تفصل بين الرومانسية والخيال، أو هى أقرب إلى الموقف الأدبى الذى يعد الخيال أكثر أهمية

من الواقع، غير أن العودة إلى ما تمثله الرومانسية فى شعرنا العربى نجدها - على العكس مما يتردد فى بعض المعاجم الأدبية - أبعد من الخيال إلى الواقع، وإذا أشرنا إلى رومانسية أشعار المهجر، وجماعة "أبوللو" فى هذا الصدد، لاقتربنا إلى حد كبير، من معنى الرومانسية التى تغلب على الشعر العربى الحديث فى معناه الهادف.

ولا نستطيع الحديث عن تيار عبد الله باسراحيل، وفى تطوره الأخير دون أن نشير إلى عدة تيارات سبقته، يمكن الإشارة إليها كما سبق أن ذكرنا وهى:

- التيار السلفى الإحيائى

- التيار الإحيائى الجديد

- التيار الرومانسى

- تيار الواقعية الجديدة والحدثة الشعرية

والواقع أننا لانستطيع أن نشير إلى التيار الكلاسيكى الأول والثانى، دون أن نلاحظ الأثر الرومانسى الذى كانوا ماضين فيه، فدارس هذه الفترة، يلاحظ أن القصيدة فى المملكة فى هذه المرحلة دخلت مرحلة جديدة ومهمة، على يد عدد من زملاء العواد ومجايليه، ومنهم: حسين سرحان، حمزة شحاتة، حسين عرب، محمد حسن فقي، إبراهيم الفلالي، أحمد قنديل، طاهر زمخشري.

إن ما يميز شعر هؤلاء عن سابقهم، هو مظاهر الذاتية الحاملة والحزينة الهاربة من الواقع، أو المتطلعة إلى المثل الأعلى فى تقويم المجتمع وإصلاحه، فلقد أخذت تنداح من قلب الشاعر نفحات ذاتية فى دفقات مفعمة بالألم، والشعور بالضيق والغربة والإحساس باليأس

والتشاؤم، ومع ذلك فقد ظل في شعرهم مكان بارز للمضامين التقليدية، وقضايا الإصلاح، والتغني بالوطن، ومتابعة قضايا الوطن العربي الكبير في التحرر والوحدة، وفي معاركه مع الاستعمار والصهيونية.

لذا فإنه - رغم سيطرة الذاتية وهيمنة الأنا على قصائدهم - لا نستطيع أن نقول إن هؤلاء الشعراء، كانوا يصدرون عن رؤية رومانسية واضحة، لقد كان شعرهم حائراً بين تأثير كلاسيكية آفلة، ودعوات التجديد الرومانسية في الشعر العربي الحديث. (x)

ومع أن التيارات الأولى، تأثرت بمدارس التجديد في الشعر العربي الحديث مثل "الديوان" و"المهجر" و"أبوللو"، وبهذا التيار الرومانسي الجديد، فقد ظلت السمة التقليدية لا تزال ظاهرة عند هؤلاء (xx) فإن التأثير الحقيقي بالرومانسية والرؤية الشعرية الواعية بدا أكثر وضوحاً فيما بعد، في جيل السبعينات.

ويرى البعض أن هذه الفترة التي ظهر فيه عبدالله بشراحيل، ظهر "جيل شعري جديد في المملكة، أسهمت عوامل وظروف مختلفة، في تشكيل رؤيته الشعرية، وفي اندفاعه نحو البحث عن شكل جديد يلائم هذه الرؤية، ويعبر عنها. كان الواقع العربي يشهد نكسات وهزائم متلاحقة: يونيه ١٩٦٧، أحداث أيلول ١٩٧٠، كامب ديفيد ١٩٧٩، غزو لبنان ١٩٨٢، وعلى الصعيد المحلي كان المجتمع يشهد تحولاً هائلاً في السبعينات الميلادية، بعد الطفرة المادية التي أحدثت هزة وخلخلة في البنى الاجتماعية والاقتصادية لم يحدث لها مثيل من قبل.

بل نستطيع القول: إن فترة ربع القرن الأخير بعد السبعينيات، شهدت من الأحداث الجسام ضد الأمة العربية، ما لم تحدث - فى حالة رصدھا وتأثيرھا - فى القرون السابقة كلها، منذ يونية ١٩٦٧ . وإلى غزو العراق ٢٠٠٣، مروراً بكل هذه الأحداث الدامية الواقعة والآتية بعد ذلك، مما أنضج التيار الرومانسى أكثر ودفع به إلى هذه الواقعية القاسية التى لم تجد قط غير العروبة والوعى القومى ملاذاً لها، كما سنرى .

والملاحظة الجديرة بالإشارة هنا أنه مع السبعينيات والثمانينيات، احتوى هذا الجيل الجديد جيلاً تأثر بمدارس ومذاهب فكرية وأدبية كالسيريالية والوجودية - كما يلاحظ نقاد هذه الفترة - وهو ما صحبه " تحول مماثل فى بنية القصيدة السعودية، يلائم هذا القلق الشعري الجديد، والمضامين التى جدت معه، وكان بحث هؤلاء الشعراء عن شكل عروضي جديد، ينبع من هاجس رؤيوي يتجاوز مجرد الرغبة فى التجريب فى الشكل وتنويعه فحسب، إلى البحث عن شكل يتسع لهمومهم، ولا يضيق بالتعبير عن إيقاعهم ونبضهم المتوتر، فجاء التجديد فى الشكل مصاحباً للتجديد فى المضمون، ومتحدداً به، رؤياً ودلالة، ووظفت لهذا الغرض، أدوات شعرية جديدة، كالأساطير والرموز المحلية وغير المحلية، والموروث الشعبى "

وهنا يجب أن نسارع بالقول إن هذا الجيل الذى أطلق عليه جيل الحداثة كان صاحب قصيدة النثر الذى حاول الرغبة فى التجريب والتغريب فى آن واحد، هذا الجيل الذى أطلق عليه جيل الحداثة الشعرية فى المملكة، لم ينتم إليه عبد الله باسراحيلى، بل التزم

التجديد القومى المتوازى فى كتابة النص، ولم يقع فى أسر الكلاسيكية الجامدة، كالتيارات السابقة ولا الرغبة فى أى تجديد أو إثارة الغموض والتعبير المسرف فى التجريب الذى لا يتواءم مع عصرنا وأحداثه الثقيلة، كما حدث مع هذا الجيل الجديد الذى يتم الاحتفاء به احتفاءً كبيراً.

وهنا نخرج من هذه الحركة ونعود إلى تيار باسراحيل، الذى حاول أن يحافظ على الأصالة والمعاصرة معاً، فى صيغة شعرية واحدة، ومن ثم، يعبر عن المأساة التى أصبحنا نعانيها فى المجتمع العربى، فى هذه الحقبة الصعبة من تاريخنا الحديث.

وعلى هذا النحو، فإذا سلمنا بأن الشعر الرومانسى بالشكل الذى أشرنا إليه مثل السمة الرئيسية فى أشعار عبد الله باسراحيل الأولى، فإننا لن نعدم فى الوقت نفسه ظلال الواقع الثقيل على الدلالة بشكل ما، ذلك لأن الفترة التى عاش فيها نصف القرن الأخير، والمكان الذى وجد فيه، المنطقة العربية، ما كانت تسمح - فى الموقع والموضوع - بالغياب خلف أستار شفافة دائماً، وإنما سرعان ما كانت تأتى النكبات، وتتوالى، وتتعدد، حتى تتكسر النبال على النبال - فى تعبیر المتنبي - فإذا الرومانسية تصبح سوداء، وتتحول بالشاعر إلى الالتفات حوله لبحث عن حس شعرى آخر يحاول أن يعبر به عما يريده .

لقد دفع الواقع الشاعر هنا إلى تجديد المضمون، وتحديد إطاره الرومانسى الوطنى أول الأمر موظفاً له أدوات شعرية، ومطوراً رموزاً محلية وموروثة تراثياً راح يلقى بوعيه الرومانسى - مع مضى الوقت - فى تيار العروبة والوحدة العربية، إذ لم يجد خلاصاً لوطننا العربى الإسلامى إلا بها .

ومن الجدير بالذكر أن هذا التحول - عبر التوازي - مضى مع الشاعر منذ سنواته الأولى، فقد بدا " الحنين، " إحدى سمات الرومانسية يتحول إلى حس مغاير، فقد شكلت العاطفة الرومانسية، في باكورة حياته، قوة حارقة اتجهت " إلى النصف الآخر من الحنين سواء كانت الأم أم الوطن أم الحبيبة أم المعشوقة، ثم تأتى بعد ذلك مرحلة انتقالية، حتى سن الشباب ثم مرحلة النضج " .

وليس من المصادفة أن يكون إهداء ديوانه الأول (معذبتى) إلى وطنه (أم القرى).

إشارات التحول

وليس من المصادفة، أن تكون القصيدة الأولى في أول ديوان^(١) ينشر له بعنوان (فارس الأمجاد) مهداة إلى جلالة الملك خالد، فبعد الافتتاحية التقليدية التي تذكرنا بالشعر التقليدي، نرى أن الوعي يقفز به مباشرة إلى الواقع المرير الذي يعيش فيه العرب، نقرأ :

الغربُ أقبلَ ملقياً أضغانه

بالفتك والإرهاب والأصفادِ

يغتالَ آمالَ البلادِ بغدره

ويطوفُ بالأضرارِ والإفسادِ

ويظنُّ أن العربَ نامت عيנם

عن حقهم في البذل والإعدادِ^(٢)

ولا نلث أن نلتقى فى نهاية الديوان، بهذه النزعة الرومانسية، فى قصيدته، ونؤثر هنا أن نثبتها كلها لقصرها وكثافة الدلالة فيها، يقول تحت عنوان (معذبتى):

مُعَذَّبَتِي أَلَا يَكْفِيكَ ظُلْمًا
وَدُنْيَانَا أَلَيْسَ لَهَا قَرَارُ
مَلَكَتِ الْقَلْبَ حَتَّى حِرْتُ فِيهِ
وَمَا لِي يَا مَنَى قَلْبِي خِيَارُ
فَأَنْتِ حَبِيبَتِي وَإِلَيْكَ شَجْوِي
مُعَذَّبَتِي لَقَدْ طَالَ انْتِظَارُ
وَأَعْيَانِي عَلَى الْأَيَّامِ هَمٌّ
وَأَعْيَانِي عَلَى الْوَجْدِ اصْطِبارُ
فِرَاقِي لَمْ يَكُنْ لِي فِيهِ ذَنْبُ
فَلِأَقْدَارِ أَحْدَاثٍ تُدَارُ
حَيَاتِي كُلُّهَا شَوْقٌ وَوَجْدُ

فَلَا لَيْلٌ يُرِيحُ وَلَا نَهَارُ (٣)

ولا نلث أن نلتقى مع (وعود) نجد أنفسنا فى نفس الخيال المجنح فى ميعة الصبا:

أَتُعَاهِدِينَ وَكَمْ لِعَهْدِكِ خُنْتُ
وَحَمَلْتُ آمَالَ الْفُؤَادِ وَسِرْتُ

أَبْكَيْتِ فِي عَيْنِي الزَّمَانَ وَفَرَحَهُ
وَقَطَعْتَ حَبْلَ الْوَدِّ يَوْمَ قَطَعْتَ
لَوْ جَادَتِ الدُّنْيَا بِمِثْلِكَ مَرَّةً
مَا هَامَ إِلَّا فِيكَ قَلْبِي أَنْتِ
فَكَمَا تَشَاءِينَ أَفْعَلِي إِنَّ الْهَوَى
فِي جَانِحِي إِلَيْكَ مُنْذُ وُجِدْتِ
يَا غَادَتِي رَوَّعْتِ فِي قَلْبِي الْمُنَى
وَأَحْلَتْنِي شَبَحاً وَهَنْتِ وَخُنْتِ
هَلْ هَذَا الْحِرْمَانُ أَوْ لَجَّ الْهَوَى
فَنَسِيتِ أَيَّامَ الْلُقَا وَهَجَرْتِ
فَبَقِيتُ وَحْدِي لِلْعَذَابِ وَلِلْعَنَاءِ
وَوَفَيْتُ عَهْدَكَ صَادِقاً وَحَنَنْتِ
أَتُرَى نَسِيتِ، أَمْ اسْتَهَنْتِ بِحُبِّنَا
حَاشَا، أَخَافُ فَلَا أَقُولُ فَعَلْتِ
يَا حَيْرَتِي أَلْقَاكَ تَبْتَسِمُ الرُّؤْيَى
وَإِذَا رَحَلْتَ بَكَى الْهَوَى وَضَحِكْتَ
عِيشِي كَمَا تَهْوَيْنَ حَكَمْتُ الْهَوَى
مَا بَيْنَنَا فَتَحَكَّمِي مَا شِئْتُ

سَيَظِلُّ فِي عَيْنِي شَخْصُكَ مَائِلًا
مَهْمَا بَعُدْتَ حَبِيبَتِي وَنَأَيْتِ
وَيَظِلُّ قَلْبِي طَائِرًا مِتْنَقَّلاً
يَقْفُضُ خُطَا نَجْوَاكِ أَنَّى كُنْتِ^(٤)

غير أننا مع نهاية الديوان الأول، لاحظنا إشارات الوعى بالواقع حوله أكثر، فليست الحياة كلها خيالاً وهياماً، وإنما هى لون من ألوان المعاناة، وهو ما يظهر جلياً فى القصائد الأخيرة خاصة قصيدة (الحياة)^(٥)، ويتمهل عند الراحلين فجأة (عزاء الأحبة) و(إيه يا نسر)، يحدث نفسه فى عزم الشباب:

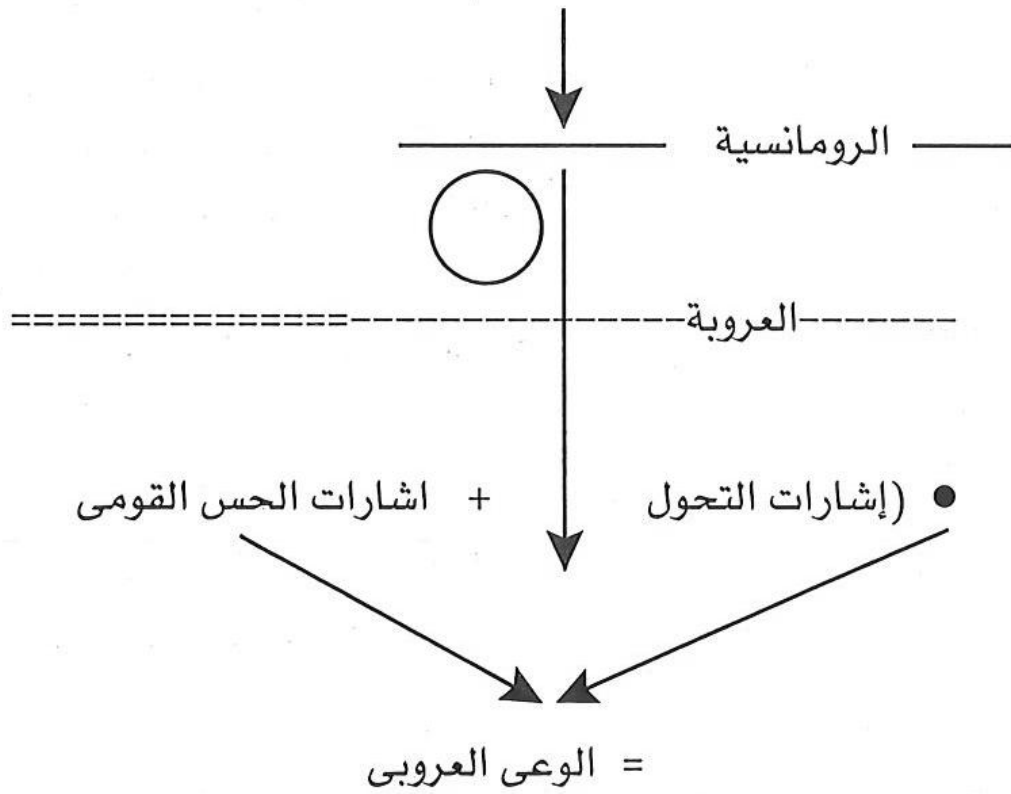
فانطلق للعلاء جاوز إلى النجم
مساراً محبوباً مأموناً
فإذا ماسقطت فاسقط شهيداً
عالياً شامخاً عظيماً أميناً^(٦)

غير أن النسر يتكثف حضوره أكثر فى الديوان التالى مباشرة (الهوى قدرى)، فرغم أننا نتوقف عند العنوان الثانى فى الديوان (قصائد للحب والحياة)، ورغم أننا نلتقى بقصائد رومانسية، مثل القصيدة التى أعطى عنوانها لديونه^(٧) فإن التحول إلى الواقع يمضى وإن يكن بطيئاً، إنه ينهى قصيدته (يا فؤادى) بهذه الأبيات الدالة:

أنت يا قلب حزين
من تفاهات العباد

يعكس لنا الذات القومية، وهى تتماهى مع ذوات أخرى وطنية أو عالمية، دون أن تفقد خصائصها، ومع ذلك ورغم ذلك، فقد يكون من الأجدى أن نحاول التجول فى إشارات العروبة ودلالاتها منذ هذا الديوان، إلى ماتلاه قبل أن نعود مرة أخرى لنتأمل أكثر .

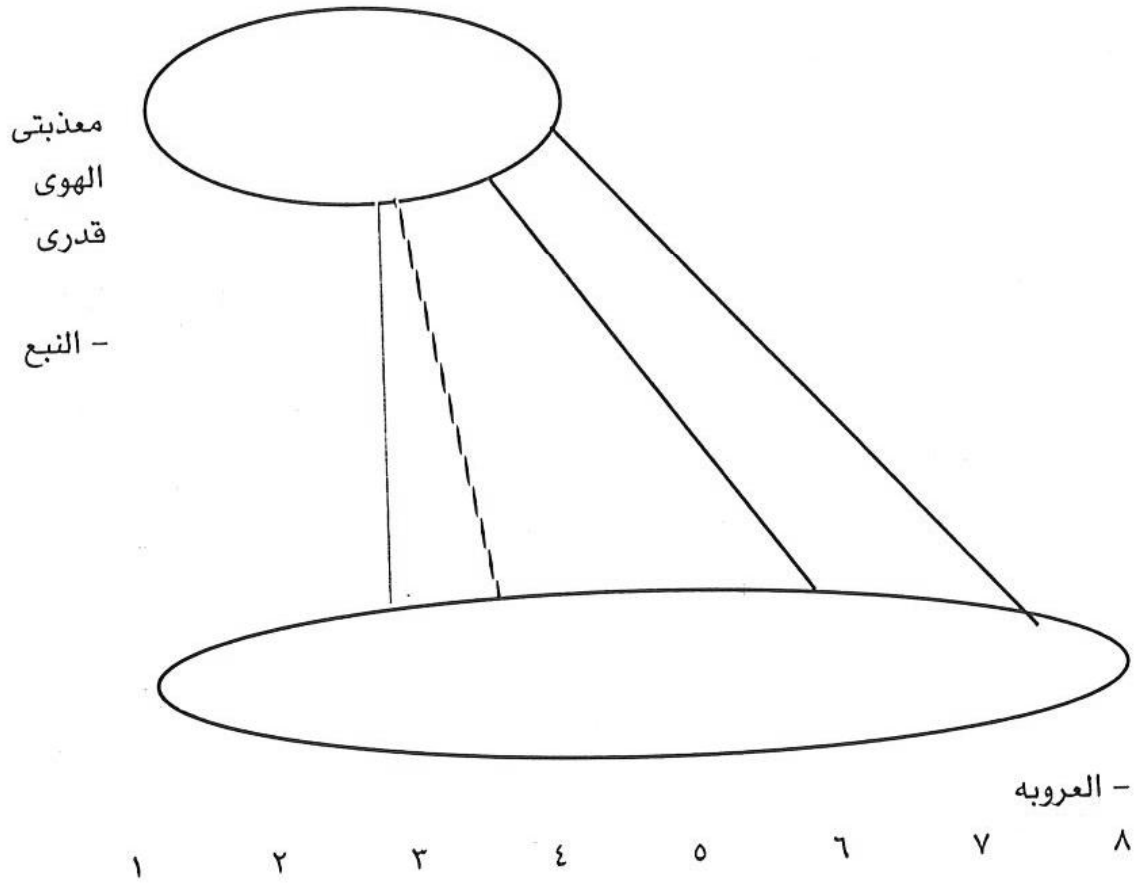
إن أمامنا شكلاً بيانياً (شكل ١)، يمكن أن يعكس درجات التحول من الرومانسية الخالصة، إلى التماهى مع العروبة من أول ديوان شعر له (معذبتي) ١٩٧٨ حتى آخرها اليوم:



وهو ما يمكن أن نشدد معه على أمر مهم فى إشارات التحول عند الشاعر،

عبد الله باسرا حيل، وهو أن الخط الرومانسى الذى بدا ظاهراً فى

بداية نتاجه الشعري، فى نهاية السبعينيات بدأ تجاوزه فى الفترة التالية، عبر أعماله الباقية حتى اليوم (شكل ٢).



وهو ما تقترب معه عبر القصائد الضافية التى تخرج عبر المنابر، أو الصحف أو الدواوين الشعرية، أو عبر سفراته التى لم تتوقف، بحثاً عن وسيلة للدفاع عن هذه الأمة التى تعاني هزيمة التفكك وتراجع القيم العربية.

كان التمرد هنا على هذا الواقع، هو تمرد من الغربة والحزن الميتافيزيقى إلى التمرد الذى يحمل كل هذا، لكنه يتمهى مع التمرد الإيجابى.

كان التمرد الواعى هو الذى ارتبط بالوعى الرومانسى، وهو الذى اعتمد على دعوته للعروبة بشكل كامل.

وهو ما وجدناه أكثر وضوحاً فى ديوانه الثالث (النبع الظامى) ١٩٨٦، قبل أن نواصل رصد تصاعد الحس العروبي الدامى فى هذه الحقبة.

عن النبع الظامى

لم ينتم الشاعر - إذن - إلى جيل التمرد الميتافيزيقى الجديد، وإنما كان الواقع الميتافيزيقى الحزين الذى يحيا فيه أكثر ما فرغ له، كان لابد للشاعر من البحث عن أسباب الواقع المزرى الذى تعيش فيه الأمة، وهو ما دفع به إلى تحويل الرومانسية إلى ثورة حقيقية، أو ثورة تدعو إلى الواقعية العربية، فلم يكن غير (العروبة) أمامه بحثاً عن الخلاص.

والخلاص لم يكن البحث عن المستقبل وحسب، بل ورؤية هذا المستقبل، فى الواقع الممض الذى نحياه جميعاً. إنه منذ البداية يتحدث عن موطنه (موطن الهدى)، مؤكداً على قيمة الرمز الإسلامى فى تأكيد معنى العروبة التى غابت، وأهمية ألا تغيب، لكى نستعيد هذا الواقع المر الذى نحياه، فقد كانت استعادة التاريخ العربى الشامخ كافية لنرى ما نحن فيه الآن :

ليس كاليوم والعزائمُ تكلى

صدىء السيفُ داخل الأغمار

ليس كاليوم أين منّا الضواري؟

تدراً العُسفَ بالفعَالِ الشُّدادِ؟ (٩)

ويكشف اللثام أكثر عن سر هذا الواقع الذي نتردى فيه نثارا،
فيقول :

غُرس من الحقدُ في ربانا جنورا

من شقاق... ووحشة وعناد

وصراع على الحطام... وخسف

يتوالى في كل أرض ونادٍ!!

.....

كم شربنا القذى وبتنا على الضيم

وقد ضاع نفخنا في الرماد

وعدانا يسيطرون علينا

ويعيشون بالأذى، والفساد (١٠)

ويكون من الطبيعي في مثل هذه الحال، أن نسأل أنفسنا سؤالاً
بدهيا، ما السبب فيما نحن فيه؟ ورغم أن الإجابة نعرفها جميعاً، غير
أننا لانسأل السؤال البديل الإيجابي : متى نستيقظ مما نحن فيه الآن

فمتى يا ترى نفيق ونصحو

نتنادى بنخوة الأجداد؟!

ونحن على جدار الموتِ
نسـخـو.... بالمـيـامـينِ
فلم ترتدْ أمـريـكا
لتطفي نار... "شـارون"
وحاكمها يصم السمع
عن وجع الملايينِ
ويكون عليه أن يرتد أكثر أمام كل هذا الخطر الخارجى، ليصرخ
بضمير المتألم العربى:

أقول لكم أنا العربى
أنا الشعب الفلسطينى
أنا البطل الذى أبلى
"بجـالوت" و"حـطـين"
أنا الشمس التى بزغت
على كل الميـاديينِ
لبست اليوم مفخرة
أعز من النيشـاشينِ
برغم الجرح يسكننى
ورغم الضيم يؤوينى
ورغم الذل فى وطنى
أقاتل كل صـهـيـونى

وفى هذا كان يعود إلى نفسه، لينصت، ولكن ليس ما يريد الإشارة إليه حتى ولو كانت هذه (العروبة) التى يغيرون جلدھا اليوم يضيف هنا:

سأَمْحُو الْعَارِيَا قَدْسِي
بِتَفْجِيرٍ... الْبَرَائِكِينَ
وَإِنْ نَكُثْتُ عَرُوبَتُنَا
فَنُورُ الْحَقِّ يَكْفِيْنِي
أَيُّرْمَى كُلُّ مَنْ يَحْمِي
كَرَامَتَهُ بِتَخَوِينٍ؟
وَتَنْفُثُ بَيْنَنَا الْأَرْزَاءُ
سُؤْمًا كَالثَّعَابِينَ

وننصرف عن القصيدة الطويلة، لنتمهل عند أنين شديد، إن آثار
الفرقة لا تزال تعكس آثارها فينا، إن (صبرا وشاتيلا) دراما قاسية،
تتكرر كل يوم فى بلادنا، إن الشاعر يصرخ على ما يحدث للعروبة فى
هذه المذبحة للعروبة.

وأستأذن القارئ الكريم هنا أن أنقل القصيدة كلها، بما تحمل من
ألم ودلالة يجب التنبه إليها دائماً، ونحن أمام ذبح العروبة صامتين،
نقرأ الاسم (صبرا وشاتيلا) ثم ندلف إلى المذبحة التى يساوى الوعى
بها المعادل الموضوعى للعروبة التى تذبح، نقرأ:

أَغْمَدِ السَّيْفَ وَخُلِّ الْقَلَمُ
يَنْثُرُ الْحَزْنَ وَيَهْمِي الْمَا

كيف مهد الأسد يضحى ملعباً
لضباع شأنها سفك الدماء؟
ويد البطش على آكامها
مزقت آمالها، والنعمما
والقوانين التي قد شرعت
وضع الباغي عليها القدماء!!



أين الإنسان في أعرافهم؟
ويل من جـار وبيع الذمما
ومضى يجتاح في طغيانه
أنفساً تحمي وترعى القسما
أشعل الحقد ومن غلوائه
كل ما في الأرض أضحي عدما
إن " شاتيل " " وصبرا " اتحدا
فوق نصل غادر والتحمما
من رأى ليل الأسى مرتسماً
نثر الهول عليها الرمما
صور ما زال فيها نابض
يسأل الثأرو يخفي الأملما بني

صهـيون إنا معـشر

نبذل الأنفس منا والدمـا

فيمينا بالذي أوجدنا

لا نضيع الثأر فيكم أمما

نخسف الأرض بكم في صولة

يرتقي الحق إليها سلما

يا سطور النور في تاريخنا

قد سطا الباغي فوامعتصما

وتلاشى في غيابات الردى

ما بنى أبطالنا وانهدما

أسدل الليل علينا حُلْكة

ورمانا الوهن فيما قد رمى

كيف نمضي والرؤى محسورة

بعدما ارتدنا الذرى والقمما؟

همنا نيل الأمان ثرة

وإليها ما بلغنا الحلمـا

يا زعامات الدنى فلتنظري

كم جراح العرب أمست عمما

● ● ●

إيه يا شرقاً غدت ساحاته
يستثير النقعُ فيها النكما
حسبنا الفرقة شلت عزمنا
ما رعيناه الحقَّ لا والرحما
هل ترى المحنة فينا أيقظتُ
غفوةً تبعث فينا الشمما؟
ربما عادت لنا أمجادنا
ذات يوم نتسامى ربَّما (١٣)

على أن القصيدة تنتهى ونكون قد انتبهنا، (كأننا لم ننتبه) إلى
قصيدة تقول بوضوح شديد من عنوانها (ويل العروبة): إنه يتحدث فيها
عن هذا الشر الذى كان قائماً فى التاريخ من كسرى وقيصر، وها هو
يأتينا بعد أن هزمنا كسرى وقيصر، ولكن الحال - حالنا - لم تعد هى
الحال، إنه يحدث نفسه مرة، ويتحدث باسم هذا الخطر مرة، ويشكو
للمقادير مرة، يأسو لحال هذا الشرق الذى يرى نزيف العروبة ولا يتنبه
أبداً، ونقرأ:

قد جئتُ للشرق الغزير وعادتى
إن جئت يأت الموتُ، والتخريبُ
أسقيه من كأس الحِمَامِ مشاربا
وله من الشر العظيم نصيبُ

كم كنت أبعد من خيال ظنونه

لكن تصريف الحياة عجيب

الشرق أسلم للعدو قياده

وكأنه متجاهل مغمصوب

ورغم أن قصائد الديوان، نشرت قرب منتصف الثمانينيات، فإننا
مازلنا نسمع أنين العروبة، ونعجب كيف تتبأ الشاعر بما يحدث الآن
في بداية الألفية الثالثة لبلادنا العربية : بيروت وبغداد ..

لأننا لبنان مـزقـه الردى

لا الطب ينفعه ولا التطبيب

وتمايلت بغداد من صرعاتها

ما للعروبة أمرها مغلوب

ولا يلبث القارئ المعاصر أن يعجب بأن الشاعر في القرن الماضي،
كان يرى ما يحدث لنا في هذا القرن، فما يحدث في المشرق الآن
هو ما أشار إليه في بكاء في القرن الماضي، وهو يردد الشطر
المحزون :

ما للعروبة أمرها مغلوب(١٤)

ويكون علينا في الأشعار التالية ألا نخرج من هذه (الحالة) التي
يجسدها الشاعر أكثر أو يبيكها أكثر كيلا نظل نائمين، إن ديوانه التالي
يعبر عن نفسه من العنوان (الخوف) ونشر بعدها بسنتين أي في نهاية

الثمانينيات، وهو يحمل كل آلام الفرقة وغياب العروبة، انظر إلى عناوينه: (الميراث - البيان - صور قديمة للوطن العربي - البحر الطامى - الضمير المخنوق - الخوف)، ويكون علينا أن ننتبه من جديد إلى أن الشاعر لم يجد أمامه غير الحلم، العودة إلى الماضى، الهروب من الحاضر المفزع، والتهديد الصريح أنه إذا ظل الواقع المؤسى على ما هو عليه، فلن نخرج من كهف التاريخ، قط .

تأمل فى هذه القصيدة التى يضع فيها الحزن والطريق إلى الخلاص منه، إنها العروبة، الوحدة، دائماً أمامنا ما نعتصم به ؛ بحبل الله - ولكننا نقع - بإرادتنا فى حفرة اليأس - نحن أمام قصيدة قصيرة يسميها (الخوف) ويقول فيها :

جرادُ على السفح يطوي الرِّغْدُ
إذن قُلْ أعــــــــــــــــــــوْذُ بِرَبِّ الْبَلَدِ
على الحرثِ والباسقاتِ الطَّوَالِ
ونضْأحةِ الماءِ لَيْسَتْ تُرْدُ
تجورُ الخطايا على أُمْرِهَا
فصارت مِدَاداً لَذَاكَ الْعَدْدِ
ستبزغُ يوماً على فرقْدِ
وتنثرُ في الشَّمْسِ كلَّ الزَّيْدِ
ويُلْقِي عليها النهارُ ضياءَ
يعانقُ عطفين رُوحاً... وَقَدْ

صيحة واحدة يتذكرها صاحبها دائماً، كلما تذكر غياب العروبة الذى طال حتى حسب البعض منا، أو الكثير، أن العروبة أصبحت نثاراً، وأن المستقبل أصبح سراباً، إنه يتذكر قصيدته من القناديل التى يصيح فيها بأسى ورعب وأيضاً فى نصح ولفتا للنظر (ها نحن نعلن موت العرب) - لنقرأ ونتأمل فلا نتأهب للنظر إلى قناديل عربية أخرى تغيب فى خريف العراق وببيروت وسوريا، وغيرها، يقول بأسى موح:

مجازاً لأنت

ابن معدي كرب

لأنك تحيي

موات العرب

تناديهم فى خضم السكون

وتسكنهم فى جحيم الغضب

فلا الشام تمنحهم أرضها

ولا القدس

أو مصر

أو فى الحجاز لهم منقلب

وكل المدائن

كل الحضارات

كانت

شعار العرب

وكل البلاد

بلاد العرب
وها أنت تبتاعها بالمزاد
وسوق المزاد كساد
فمن يشتري
الجذب بين العقول
وبين القفار
ومن يشتري
النخل دون الرطب
فكلّ البلابل
كلّ الطيور
وكلّ السنابل
كلّ الزهور
بدت تحترق
في لهيب العرب
وكلّ الثقافات
كل المدائح حتى الحضارات
صارت قبور العرب
وسوق النخاسة يا شاعري
قد امتلأت بالنفوس
ولا من يريد

سرى صوتها بلُبلِي الصّداح
وجدت حبيسَ الهموم الكمد
ستأتين من خافيات السديم
يثيرُ الذي فيك عشقُ الأبد
مزملةً بانّتصارِ الدهور
مزمجرةً باقتدارِ الأسد
مضمخةً من أريجِ الفداء
مسهّدةً من بقايا الجلد
إذا خار عزمُ لهذا العدد
وحلت بنا لوثّة المرتعد
وأوجس رهطُ لها خيفة
فذلك يُغري بنا المستبد
وإن ضاع حقُّ لنا جهرة
فحقُّ المضيع.... لا يُسترد
ستأتين يا صولة الأقوياء
إذا ما صدقنا لكي نتحد (١٥)
وعلى هذا النحو، يقول لنا بوضوح شديد إن الخلاص لن يكون إلا
بأن (نتحد) ..

بيد أن الخلاص لا يكون إلا بعد أن نستعيد أشعاراً أخرى، قريبة من هذا فى (قناديل الريح)، قبل أن نصل إلى مرحلة تالية.. فبعد ربع قرن من الحزن على غياب العروبة (لا ضياعها)، هانحن نعانى قسوة هذه الحقيقة، وهو يرصد الشعر السابق إلى شعر القناديل الآن ليرى - كما قال صاحب المقدمة -

"بروز الملمح الرومانسى ثم أخذ يتدرج فى التحول إلى الواقعية" (١٦).

والواقعية هنا هى واقعية الحقيقة الكونية التى يمكن فى ضوءها أيضاً، تفسير ما آلت إليه أمتنا حين بدا غياب العروبة يستمر طويلاً.. إن غياب الحقيقة الكونية هنا هى مجاز للحقيقة العربية، فغياب الوعى العربى أهم مكونات حياتنا، هو حاصل ما يحدث حولنا الآن.

ولانريد أن نعيد شجون الشاعر ودموعه وشروطه، ودفعه بنا إلى منهل العروبة، لكننا لانملك غير استعادة بكاء الشاعر وراثته لهذا الواقع المضنى لأمة كانت فى يوم ما، الأمة الكبرى فى هذا العالم الشرير الشرس.. وكيلاً نطيل فى هذه القتامة السوداء الدالة، نحيل القارئ إليها ونحن نترك بين يديه هنا نثاراً منها .

إن القناديل التى تظهر لتختفى كثيرة، والريح العاتية تستمر لتهبط علينا من الجنوب والشمال، من بيننا ومن غيرنا، ومع ذلك، فنحن لانلتفت لنصح الثقة منا، ولانرتعد لحقق المصير الذى سنمضى إليه، ما دمنا نقف فرادى فى الريح .

لنرجى القناديل إلى موضع آخر فى نفس الزمن، ونتمها عند

ولا من يهب
وإنسان أرض بلاد العرب
لقد أقطعوها
لسيّد هذا الزمان
فصارت له الكسب
فيما اكتسب
وصار جميع الرجال
سبأيا
وصار النساء
مطايا
وصرنا نمجّد هاماتهم
والذنب
ونغسل في كل شبر
ذنوباً
ونمضغ في كل يوم كُرب
لأنك أعلنت بيع العرب
سيغضب بعض الحضور
ويشكون، ياساً، لجمعية الرفق بالأثرياء
فهم يرفضون انتقاص الثراء
وهم وحدهم يملكون

الجمال
وكلّ الثناء
وهم وحدهم يملكون السماح
وكل الرجاء
وهم من سلاله نور
ومسكنهم في أعالي الفضاء
وكلّ الخلائق طين
فهل يقبل النور
طيناً وماء
لأنك أعلنت بيع العرب
فقد أعلن الكونجرس
أنه قد أتمّ الشراء
وجاؤوا بعقد كذب
رأينا القبائل إثر القبائل
ترحل نحو المساء
وقد تركت خلفها كلّ حق
وأبقت عليها لباس
الهزيمة والانحناء
وشيئاً يروّي الظماء
فمن يخبر القادمين من الغيب

كيف استبيح الوطن
وعن أمة
ألجمت بالرسن
تباع وتنظر جلادها
وترضى بتعذيبها في غباء
لأنك أعلنت بيع العرب
فقد شرب المترفون المراءون نخب العنب
وأضحكهم
كيف بيع العرب
كيف ذلّ العرب
ولا من ترحّم
يوماً
ولا من كتب
وحتى (لسان العرب)
تبدّل صار
لسان الكذب
فمنذ السياسات زيفاً
ومنذ النساء
استحلن
لعب

ومنذ الرجال

أحبوا الذهب

فها نحن نعلن موت العرب

والتأمل فى هذه الكلمات يبعث على الألم، ويدفع إلى الأسى، لكنه
الألم أو الأسى الذى قصد به الشاعر مواجهة الواقع، أو كشف الواقع
المرير أمامنا، قبل أن نتحول إلى أمة من (الهنود السمر)، تمضى إلى
مصيرها - كما أودى بها إليه من قبل العسكرى الأسود فى بلاد العم
سام..

لنتأمل قبل أن نهبط إلى غزو بغداد بالفعل

وقبل أن يتحرك جنود اليانكى لتدمير بغداد والولايات العربية ...
وقبل أن تصعد صيحات مثقفى أمريكا لتصيح فينا .
قبل أن نصل إلى (قلائد الشمس) لنرى العروبة تدفع، لتذبح،
بيننا، جميعا .

هوامش الفصل الأول

(x) معجم البابطين، المجلد السادس، ط ١ / ١٩٩٥ ص ١٧٩

- أيضا انظر: منصور الحازمي : فن القصة في الأدب السعودي الحديث، دار العلوم، الرياض ١٩٨١ ض ٩٧ .

(xx) يلاحظ د. عبد الله المعقل هنا أنه : " ظلت سمة التقليدية سمة ظاهرة عند شعراء هذه المرحلة، تمثل ذلك في تصنيفهم لدواوينهم إلى أغراض وأبواب، وفي تناول بعضهم للأغراض القديمة، وتوظيفهم الشعر لقضايا الإصلاح، وتركيزهم على الاهتمامات السياسية والفكرية واستمرار صوت النزعة التعليمية الوعظية التي تتجه إلى مخاطبة عقل القارئ، وليس عاطفته أو إحساسه. واقتضت طبيعة هذه الموضوعات فخامة وجزالة في اللغة ونبرة خطابية مهيمنة أحيانا، من ناحية أخرى، تأثر هؤلاء الشعراء بمدارس التجديد في الشعر العربي الحديث مثل الديوان والمهجر، وبدعوة أبولو التي كانت تتادي بالتعبير عن عواطف الإنسان ومشاعره، والتعبير عن الحياة والكون من خلال مشاعر وقلب الشاعر، لا من خلال تفكيره وعقله ؛ كما تأثروا بالمزاج الرومانسي الذي صبغ نفسية الشباب العربي، في الثلاثينات والأربعينات الميلادية، بمسحة من الحزن والتشاؤم فبرزت في أشعارهم الذاتية الممزقة والحائرة أمام لغز الحياة، وامتألت قصائدهم بالتساؤل والتأمل، وانحازوا للطبيعة والمرأة يبتونها عشقهم وهمومهم، وكان من شأن المبالغة في التركيز على الهم الشخصي، وقوع بعض الشعراء في نرجسية تعظيم الذات، والمبالغة في تفخيمها على حساب الهم الإنساني "

- انظر السابق ص ١٨٦، أيضا " على البطل: في شعر العصر الحديث ج ١

دارا لمعارف ١٩٨١ ص ١٢٩

(١) ديوان معذبتى، ط ١ / ١٩٧٨ القاهرة، ونشر فيما بعد في الأعمال الكاملة

له، وهى التى اعتمدنا عليها هنا .

(٢) الأعمال الشعرية عبد الله باشراحيل، ط ٢ مطابع الأهرام بالقاهرة،

ج ١ ص ٢٦ - ٢٧

(٣) السابق ص ٣٦

- (٤) السابق ص ٣٩
(٥) السابق ص ٦٧
(٦) الأعمال الكاملة السابق.
(٧) الهوى قدرى
(٨) السابق ص ١٠٥
(٩) السابق ص ١٢٨
(١٠) السابق ١٨٨
(١١) السابق
(٢١) السابق ٢١٣
(٣١) السابق صص ٢٢٩ - ٢٣٢
(٤١) السابق القصيدة صص ٢٢٥-٢٢٨
(٥١) السابق ص ٤٠٦

(٦١) الأعمال الشعرية، الأهرام - القاهرة ط ٢ / ٢٠٠٥ ص ١١٨ (لا يمكن أن ينطبق مصطلح الرومانسية بدقة على حالة ذهنية نوعية أو على زاوية نظر معينة أو على تكنيك أدبي محدد. والرومانسية كحركة، نشأت بطريقة تدريجية جداً، بأوجه متباينة جداً في أجزاء كثيرة جداً من أوروبا، بحيث أصبح الوصول إلى تعريف جامع لها ضرباً من المستحيلات. وقد اقترح فيكتور هوغو (١٨٠٢-١٨٨٥) في فرنسا أن تكون الفكرة المهيمنة في الرومانسية هي الليبرالية في الأدب وتحرير الفنان من القيود والقواعد التي فرضها الكلاسيكيون وتشجيع الأفكار السياسية الثورية. وفي ألمانيا ذهب هنريش هايني (١٧٩٧-١٨٥٦) إلى أن الوجه المهيمن في الرومانسية هو محاولة إحياء الماضي (العصر الوسيط) في الأدب والفن والحياة. بينما يقترح كاتب أحدث منهما هو وولتر باتر (١٨٢٩-١٨٩٤) أن إضافة الغرابة إلى الجمال هو ما يشكل الروح الرومانسية للعصر. وقد أكد كتاب آخرون أن ما يسمى بالمزاج الرومانسي هو رغبة في الهرب من الواقع وخاصة الواقع الكئيب. وتبدي تلك الحركة الرومانسية واسعة الانتشار التي تنتمي إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كلاً من هذه الخصائص. ويمكن أن تسمى الرومانسية لتحديد نوعيتها موقفاً أدبياً يعتبر الخيال أكبر أهمية من القواعد والعقل (في مواجهة الكلاسيكية) ومن الحس بالواقع والحقيقة (في مواجهة الواقعية). والرومانسية

كما تنطبق على الثورة الاجتماعية والسياسية والأدبية التي اندلعت في أوروبا الغربية من عام ١٧٩٨ حتى ١٨٣٢، لها متضمنات سيكولوجية، وتؤمى إلى تغيرات في الموقف من التجربة الإنسانية التي ينبع منها الأدب. ومن بين تلك التغيرات التأكيد المتزايد على الفرد في مقابل العرف والتقليد الاجتماعيين، والتأكيد على الغوامض وما هو فائق للطبيعة أي الغرابة والروعة في مقابل الفهم المشترك، وعلى اللا متناهي في مقابل المتناهي، والتأكيد على الخيالي والانفعالي في مقابل العقلي، والنداء الموجه إلى القلب في مقابل النداء الموجه إلى العقل. ومن ناحية التأثير نجد الرومانسية موقفاً أدبياً وفلسفياً يتجه نحو وضع الفرد في مركز الحياة والتجربة، وهي تمثل تحولاً من الموضوعية إلى الذاتية. وتتنمي روايات يوسف السباعي وإحسان عبد القدوس وعبد الحليم عبد الله إلى الرومانسية كما تنتسب أشعار المهجر وجماعة أبوللو إليه).

الفصل الثانى

الخروج إلى زمن "العروبة"

لابد قبل أن نتمهل عند الشعرالسعودى، كما نراه ممثلاً فى أحد أبنائه، لابد من الإشارة هنا إلى محاولة ضبط عدة مفاهيم، لكى يقترب منا أو نقترب منه، هذا المعنى أو بشكل أدق الثقافة العربية التى ندين بها جميعاً لكوننا عرباً، ننتمى إلى هذه المنطقة التى استطاعت على مر القرون أن تحيل هذه المنطقة العربية إلى منطقة تتعدد فيها الخيوط، لكن لتتوحد فى نسيج واحد هو الحس العربى.

وهو الحس العربى الذى نراه - بشكل كبير - فى الخطاب الشعرى عند عبد الله باسراحيل.

وعبوراً فوق التعريفات البدهية أو الإشكالات البدهية التى تقابلنا هنا، فإن "الثقافة العربية" هى التعريف الذى يمكن أن ننطلق منه لنصل إلى ضالتنا، رغم بدايتها، وهو تعريف ينطلق منه ويعود إليه مفهوم العروبة، فالعروبة هى هوية جمعية، وليست قطرية بأية حال، ومن هنا، فإن هذه اللفظة خرجت بالفعل من المسميات الضالة التى يسعى أصحابها ليقنعونا بها على أنها منافية لتاريخ المنطقة أو جغرافيتها.

ورغم أننا نستطيع العودة إلى كثير من المعاجم، أو المصطلحات التى تنير لنا هذا المفهوم المحورى الثقافى "العربى"، فسوف نلاحظ أن

المعنى الثقافى قبل كل شىء هو المعنى المحورى هنا، فالثقافة فى حالتنا هى "مجموع أنماط السلوك المكتسبة والمتناقلة اجتماعيا والمميزة لمجتمع ما. وثقافة مجتمع ما، تنمو وتستمر عن طريق التعليم الرسمى وغير الرسمى، للغة، والمعرفة، والطرق الشعبية فى التفكير والتعبير، والمعتقدات، والعادات، والتقاليد، والمؤسسات"(١).

والعروبة كانتماء ثقافى، بدأت منذ قرون بعيدة فى هذه المنطقة التى يطلق عليها الوطن العربى خصوصاً وأن العربية ارتبطت فى المقام الأول بالقرآن الكريم، وآياته التى تتحدث عن القرآن العربى ونشر الدعوة بشخصيات عربية.

وعلى هذا النحو، يمكن أن نرى أن العروبة الحضارية هى الثقافة العربية ذات المضمون الحضارى الذى جاء به الإسلام، وبالتالي خرجت الثقافة العربية من دائرة العنصر القبلى، ومن حدود الجغرافية الصغيرة إلى دائرة تتسع فى تعريفها لـ "العربى"، كل من يندمج فى الثقافة العربية بغض النظر عن أصوله العرقية.

وفى هذا الإطار يمكن أن نرى العرب، هم أمة واحدة فى الإطار الثقافى وفى الإطار الحضارى، وفى المقاييس التاريخية والجغرافية (اشترك فى عناصر اللغة والثقافة والتاريخ والأرض)، لكنهم لم يجتمعوا تاريخياً فى إطار سياسى واحد، على أساس العروبة فقط. فالعروبة قائمة وجوداً كثافة خصوصاً قبل الإسلام، ثم كحضارة من خلاله وبعده، لكنها لم تتجسد سياسياً بعد كأمة واحدة، فى إطار كيان سياسى واحد، وعلى أساس مرجعية العروبة كانتماء (٢).

معنى هذا أن العروبة هي حالة انتماء إلى مضمون حضاري إسلامي، مميز بعلاقته مع اللغة العربية، وتقوم على قاعدة الثقافة العربية، وهي رغم توافر عناصر تكوين الأمة فيها، فإنها لم تصل بعد إلى حالة الانتماء إلى كيان سياسي موحد، ولم يحصل ذلك تاريخياً من قبل على أساس مرجعية العروبة فقط. وللوصول إلى مشروع الكيان الواحد أو الاتحادي، تتوجب الأساليب المرحلية المتعددة شرط قيامها جميعاً على أساس ديمقراطي في الداخل، وسلمي حوار في العلاقة مع الطرف العربي الآخر (٢).

وعلى هذا النحو، فإن الثقافة العربية هي الأساس الأول الذي ننتمى إليه نحن العربيين، وهو عنصر ارتبط باللغة كما ارتبط بالتاريخ والجغرافيا، وإدراك أهمية العروبة بهذا المعنى في هذا العصر، لم يصل بعد إلى ذروة التعبير السياسي - وهو قصور - بل على العكس يجب أن يعى أهمية الانتماء الثقافي، كما أشرنا إليه في زمن أصبح علينا - مع خطورة الأخطار التي نواجهها وضراوتها - أن نهتم بالوصول إلى صيغة أو انتماء سياسي آخر من هذا المنطلق، في حضور الوعي الديموقراطي والحرية وما إلى ذلك، مما يلوح به المشروع الأمريكي إلينا في بدايات الألفية الثالثة في حين أنه لا يريد غير الهيمنة على أمتنا العربية بمسميات كثيرة.

الأغرب من ذلك، أنه يريد الهيمنة علينا بمسميات كثيرة، رافضاً فكرة العروبة أو الوعي القومي العربي، رغم أن في عالمنا نماذج كثيرة تفتقد لكثير من هذه العناصر ومع ذلك تمثل نماذج يغفل عنها العدو الغربي في هذا السياق (x).

وما يهمنا فى هذا السياق أن الجيل أو التيار الذى انتمى إليه^٢ عبدالله باشرحيل، استطاع أن يعبر عن الحس العروبى منطلقاً من الواقع الأليم الذى كان يعيش فيه، وسوف نرى ذلك فى أعماله كلها - على وجه التقريب -، وهو لم يتردد أن يخرج من إطار الشعر إلى إطار النثر، ليعبر عن هذا الحس حين يقول " الحس القومى ليس شعاراً وقتياً نحسه متى نشاء، انما هو يمثل بعداً أخلاقياً وإنسانياً ودينياً وعرقياً، الحس القومى هو القلعة التى تحتوى بها الأجناس فى إصرارها على الحياة. وهو صوت الكثرة على القدرة وتجريد الأنا والذوبان فى أديم الأرض الواحدة، لتعبر عن تيمة يقال لها القومية. وهذه القومية تحيا ولا تموت ولا تتضرر لأنها قدر القادرين على التعاضد"(٤) .

وهو لم يتردد، وهو يعبر عن الحس القومى من الانتقال إلى دائرتين متداخلتين تقف كلتاهما عند المركز (العروبة) هما:

- الوطن

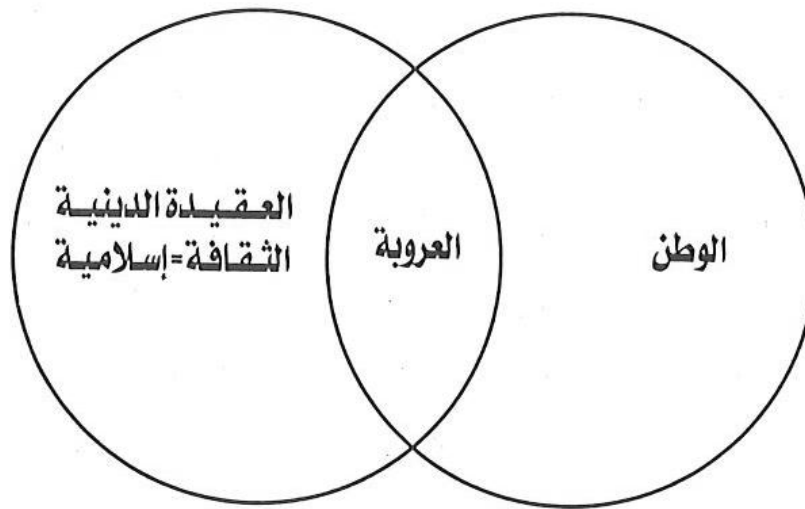
- الثقافة الإسلامية

وقد تتحرك الدوائر أحيانا - كما سنرى، ليصبح المركز متمهلاً عند الحس الدينى، لكننا سرعان ما ندرك أن الحس الدينى هذا، هو الثقافة الإسلامية التى أصبحت أهم عناصر فكرة العروبة والوطنية فى آن واحد، ومن هنا، فإننا فى الوقت الذى نلاحظ فيه - كما سنرى أن الشاعر يتمهل عند الوطن فى قصيدة واحدة، فإن ذلك يعنى أنه يتمهل عند الثقافة الإسلامية (الحس الدينى)، وحين يضع بعروضه

الكلاسيكية خاصة فى (الخطاب العروبى)، فهو إنما يعنى أنه يتمهل عند الثقافة الإسلامية أيضا .

الأكثر من هذا، وهى مفارقة دالة، نلاحظها حين يتوقف الشاعر عند الإسلام نلحظ - فى لمح البصر- أن العقيدة هنا تمثل - بشكل ما الدائرة التى تحتوى- كما أشرنا - الدوائر المتداخلة الأخرى: الوطن و الثقافة الإسلامية .

إنها العروبة (=الهوية) فى نهاية المطاف تحتوى كل هذه المفاهيم .
وهذه العروبة - بالمفهوم الذى نشير إليه- هى بشكل أدق الثقافة الإسلامية التى نجدها لدى الأغلبية العربية، كما نجدها لدى الأقلية المسيحية أو البربرية أو الكردية .. إلخ .



وعلى هذا النحو، فإننا فى حضور الوعى بالاعتراف بالأقليات بيننا، أو رفض الهيمنة باسم القومية أو العروبة أو حتى باسم العقيدة والجنس .. وما إلى ذلك يمكن أن نفهم معه المعنى الواحد الحقيقى

لمعنى العروبة.. وما لاقته فى العصر الاستعماري منذ القرن الخامس عشر إبان بدء الرحلات الاستكشافية الأوروبية (الكشوفات الجغرافية) أو إبان القرن العشرين إبان فرض (الإمبريالية) الأمريكية حيث أصبحت (العولمة العسكرية) هى ديدن الاستعمار الجديد لتمزيق الأمة العربية.

قد يكون من المهم أيضا هنا أن نسجل أن الزمن يتداخل مع المفاهيم التى نشير إليها، خيوط المكان (الوطن- الهوية)، والزمان (الماضى والحاضر) ومن ثم تدفع بنا إلى صيرورة المستقبل .. وهذا المفهوم الأخير نلتقى به فى الفصل التالى



قبل الخروج

إن أكثر ما نلاحظه هنا أن المفهوم العام للوطن عند الشاعر، ينصرف إلى الماضى الذى يتحدد فى أكثر من مستوى، على سبيل المثال: فى الدورة الزمنية (الماضى/ الحاضر/ المستقبل) ، فلا شئ يأتى من فراغ والفراغ لا يكون أبداً إلا من حصاد الماضى، وهو ما يتحدد فى (الخطاب) العروبي لدى الشاعر، سواء فى كتاباته النثرية أم الشعرية، فمن (توقعات) باشراحيل نقرأ :

الماضى الأليم غفلة للحاضر^(٥)

وهو ما يفسر به أن طبيعة الحاضر الأليم إنما هو حصاد الماضى الأليم، وهو ما يمكن مع التراكم أن يتحول إلى مأساة نعيش فيها الآن،

خصوصاً إذا لم نستفد بالدلالة التى ترسل بها إلى الصيرورة التاريخية، وهنا لا يصبح الحاضر مؤلماً وحسب، وإنما يصبح أشد مرارة كلما حاولنا أن نستعيد الماضى، إننا لم نستعص بالماضى، كما لم نستفد به، وهو ما يصل إلينا كلما شتَّ بنا الخاطر، إذ أنه يمكن أن يتحول الماضى - فى حالة المرارة واللامبالاة - إلى حاضر يحمل بذوره الخبيثة، وهو ما يعبر عنه أيضاً فى دلالة تكرار هذا الماضى (الماضى يتكرر بالذكريات) (٦).

وعلى هذا النحو، إذا كنا واعين حقاً، فلا بد أن نمسك بتلابيب المعنى الذى يرسله إلينا النظر إلى الماضى، فبقدر ما نكون واعين لهذا الماضى، بقدر ما نكون مستعدين للحاضر والمستقبل، فالنابه "النابه من يمسك بالماضى حتى لا يقع فى الحاضر" (٧) .

ولأن الماضى هو الذى يصل بنا إلى الحاضر العربى الأليم، فإن الواقع هو الذى يحدد المكان، الواقع المفزع الذى يبدأ به الشاعر من وطنه إلى الوطن العربى، إننا منذ ديوانه المبكر (النبع الظامى) ندخل إلى هذا الواقع الرحب للوطن، فهو مرة (الكعبة) و(أم القرى)، وما إلى ذلك وهو مرة بلاده (التى هى المملكة السعودية) (xx) وهو فى مرة الخليج، وهو فى السياق الأخير هذا الوطن الكبير الممتد تحت مفهوم العقيدة والثقافة الإسلامية بما يشير إلى خلاصة المفهوم الأثير فى تداعياته (العروبة)، إن الوطن هنا يأخذ - على سبيل المثال عنوان قصيدته المهمة (الوطن)، ويحدد المكان أكثر وضوحاً فى قصيدة (موطن الهدى) ، وهو يتحدد أكثر منذ البداية فى بداية القصيدة :

موطن الهدى يا ملاذ الرشاد

ومنار الشموخ والاعتداد

مهبط الوحي والنبوة والحق

ومهد الدعاء والرواد^(٨)

ولا يلبث أن يعيد التأمل فى هذا الوطن / الوطن فى خاصيته أو
هويته المبكرة حين يضيف :

الكتاب الكريم أنزله الله

ضياءً، ومنهجاً للعباد

ولد النور يوم مولد خير الخلق

وانداح فى الربى والمهداد

النبي العظيم يصعد بالأمر

ويلقى الأذى من الحساد

ويطوف الأمصار، فى الناس يدعو

دعوة الدين فى جميع البلاد

باركته الملائكُ الغرُّ والروح

ودانت له جميع الأعادي^(٩)

ألم الخروج

وبعد أن يسهب كثيراً فى مولد الوحي والتحديات التى واجهته،

والنصر الذى لاقاه بفضل العزيمة والجهاد، يستعيده فى الحاضر الذى يحمل العكس، الذى يحمل الشقاق فى زمن تحول فيه وعى المؤمن بالإسلام الحنيف ورسالته إلى شقاء الفرقة ووجوم الحاضر المؤلم، إن الحاضر الذى لم نقرأ له الماضى جيداً، ولم نعمل له بقيم العروبة التى جاء بها الدين الحنيف والعروبة التليدة.

إن هذا الحاضر أصبح يعانى الذل والبغض؛ إنه يرثى لهذا الحال الذى ألنا إليه بفعل التباعد والتباغض والفساد والحقْد والصراع، وقد أصبحنا محتلين تحت سيطرة أعدائنا، وهو ما يلاحظ معه أن تجليات العروبة لم تعد توحى بالوعى لأصحابها، فالיום الذى كان ليس اليوم الذى نعيش فيه، اليوم ليس كاليوم، إنه يخرج رويدا رويدا من زمن غياب العروبة وبواعث ذلك، فيقول :

ليس كاليوم والعزائمُ تكلى

صدئ السيف داخل الأغمار

ليس كاليوم أين منا الضواري

تدراً العسف بالفعال الشداد؟

غرس الحقْدُ في ريانا جذوراً

من شقاق... ووحشة وعناد

وصراع على الحطام... وخسف

يتوالى في كل أرض ونادٍ!



إن تراءى لنا النعيمُ رضينا
ونعمنا بصبوة... وارتياد
وحسبنا الأيام طوع منانا
وعادانا تصول كالأساد
كم شربنا القذى وبتنا على الضيم
وقد ضاع نفخنا في الرماد
وعادانا يسيطرون علينا
ويعيثون بالأذى، والفساد (١٠)

إن ديوان العروبة التالى لهذا كله يؤكد هذا المعنى : غياب العروبة،
ومن ثم تشخيص أسباب هذا الغياب، وإن كان بقسوة شديدة نراها فى
عناوين قصائده قبل أن نهبط إلى (الخطاب) الذى يفى بما يعانى
الشاعر، انظر إلى عناوين ديوانه (الخوف) ولاحظ دلالة المعنى من
ذلك نقرأ: (الميراث/صورة قديمة للعالم العربى/الضمير
المخنوق/الزمان/الندم/الخوف/ظلال الأمس/ياويلتى/ الغدر) .

وهو يصل فى أعماله رويداً رويداً إلى بواعث غياب الوجود الكريم
فى عالمنا العربى، بغياب الوعى بالعروبة. حتى أنه يعنون إحدى
قصائده بعنوان دال (عصر التيه)، إنه يشير إلى بؤس هذا الزمن الذى
(يخاتلنا فى الوعد كذاب)، وكيف يمكن للشعوب المتفرقة المتشرذمة
تحقيق القوة الوحيدة القادرة على تحدى هذا الزمن، حيث يتكاثر
الأعداى كلما تصاعد ضعفنا وتفرقنا، إنه ينظر إلى الخريطة فيرتد
إليه بصره منكسراً من كثرة الأعداى وضعف الموقف العربى الواحد:

ماصان صهيون للإسلام حرمة
ولا النصارى له خل وأصحاب
أفكار ماسون تحيا فى ضمائرهم
وشرعة الغاب مفتوح لها باب



يغتالنا الغرب ماضجت جوانحنا
وما تنادى إلى الشيشان غياب
ماينتهى ألم إلا على ألم
والجرح فينا للأعداء إعجاب (١٢)

ولا يلبث أن يشهد مؤتمر قمة من المؤتمرات العربية فى هذه الفترة
العصيبة من تاريخنا، فيصيح فى أصحاب العروبة متعجباً من سبب
القطيعة، والخوف الذى نعيش فيه مما يورثنا الفرقة والذلة، ويصل
ببساطة إلى سبب هذا كله فيقول بوضوح شديد :

لم نتحدد يوماً على
نبذ القطيعة والخلاف
لم ننتصر إلا على
حرب الأقارب والرهاف

لم نُغْمِلِ الفكر الذى

يروى العقول من الجفاف

أنخاف من ماذا نخاف

وشربنا السم الزعاف (١٢)؟

وعلى هذا النحو، فإن المعنى العام (للعروبة)، أى الحس العروبي الخالص، يتناثر فى خطابه بين الألم والأمل، وهو لا ينتشر فى شكل الحاضر وحسب (الزمان) وإنما يتبعثر بعمد عبر الماضى (المكان)، حيث تتضافر أفكاره فى مفهومى (الوطن والعقيدة - كما رأينا - لنصل إلى العروبة الغائبة أو التى تنال الغدر والطعن، ليس من بعيد من أعدائها فقط، وإنما من القريب من بين أهلها أيضاً، ومن هنا، فهو فى حين يمر على الوطن الأول إلى الأوطان العربية والإسلامية، ويكون واعياً أشد الوعى ببواعث غياب العروبة أو تغييبها.

وفاة العرب !!

بيد أننا يجب أن نسارع بالقول هنا، ونؤكد أن نبرة اليأس العالية التى نجدها كثيراً فى قصائده إنما تحمل وعياً مناقضاً، أى وعياً متفائلاً، فلا يجب أن نخدعنا نبرة الغضب أو اليأس أو حتى التشاؤم، إلى درجة يعلن فيها - كأقرانه - ما يشير إلى موت العرب، وهو معنى يصدمننا فى الظاهر، لكنه يحمل نقيضه، فالموت هو نقيض الحياة، والتخويف من الموت يبعث على التمسك بأهداب الحياة، ولم يكن نزار قبانى حين صاح فى النصف الثانى من القرن الماضى متى يعلنون وفاة العرب؟ إنما كان يشير بشكل اللا شعور الجمعى بأنه متى يعلنون

يقظة العرب مما أصابهم من نوم ثقيل أصابهم بالصمت، وحول أحلامهم إلى كوابيس وحول واقعهم إلى مأساة.

إن ديوان (قناديل الريح) أول ما يحمل - بشكل مباشر- مثل هذا المعانى القاتمة ويتحاور معها.

وهو ما يتناثر فيما بعد عبر كتاباته كلها فى درجات متباينة وأشكال مختلفة .

فلنتمهل قليلاً عند هذه القصيدة، لنرى، إلى أى حد تنتشر المرارة فى عيون شاعرنا؟ وتتناثر حبات الألم مما يحدث للعرب فى هذا الزمن الضنين؟ وأصحابه من العرب الذين لا يريدون العود إلى الوراء؟ ليروا فى مرآة التاريخ أمجادهم، ثم يعودوا إلى الحاضر ليروا فى أمجاد الحاضر هزائمهم.

إنه يكتب قصيدة عنوانها: (ها نحن نعلن موت العرب) ردّاً فيما يبدو على نزار وغيره ممن ألم بهم اليأس.

إنه يحاول أن يكتب أو يملأ الأحزان الدفينة، مما يؤكد على أن اللاشعور الجمعى يرفض هذا المصير، إنه يرد على من يعلن وفاة العرب، فيحاول أن يبدو أكثر وعياً لما يحدث، من أنه يجب بالفعل- إعلان هذا المصير - كيلا يظل الجميع فى حالة نعاس طويل أمام السؤال المعلق، وهو سؤال يحمل موقف العرب جميعهم - العرب والزعماء والمثقفين - من هذا الحاضر الأليم، ورغم أن القصيدة تطول قليلاً، فإننى أفضل هنا نقلها بدون حذف، لنرى كيف أن الذهاب إلى العروبة ولوم أصحابها ليس ذهاباً إلى قيمة غاربة، وإنما هى غارقة

تستدعى أهلها البائسين المتخاذلين، وتنتظر ابن معدي كرب فى بداية
الألفية الثالثة، لنقرأ فى ألم يدفع بحزن لم يستطع الشاعر إغفاله
إلى رفض هذا المصير:

مجازاً لأنت
ابن معدي كرب
لأنك تحيي
موات العرب
تناديهم فى خضمّ السكون
وتسكنهم فى جحيم الغضب
فلا الشام تمنحهم أرضها
ولا القدس
أو مصر
أو فى الحجاز لهم منقلب
وكلّ المدائن
كلّ الحضارات
كانت
شعار العرب
وكلّ البلاد
بلاد العرب
وها أنت تبتاعها بالميزاد
وسوق الميزاد كساد
فمن يشتري

الجذب بين العقول
وبين القفار
ومن يشتري
النخل دون الرطب
فكلّ البلابل
كلّ الطيور
وكلّ السنابل
كلّ الزهور
بدت تحترق
في لهيب العرب
وكلّ الثقافات
كل المدائح حتى الحضارات
صارت قبور العرب
وسوق النخاسة يا شاعري
قد امتلأت بالنفوس
ولا من يريد
ولا من يهب
وإنسان أرض بلاد العرب
لقد أقطعوها
لسيّد هذا الزمان
فصارت له الكسب
فيما اكتسب

وصار جميع الرجال

سبايا

وصار النساء

مطايا

وصرنا نمجد هاماتهم

والذنب

ونغسل في كل شبر

ذنوباً

ونمضغ في كل يوم كُرب

لأنك أعلنت بيع العرب

إن الشاعر هنا يدرك قسوة السؤال وقسوة وضرورة الإجابة عنه،
إن (متى ٩٠٠) لها إجابات بدهية، يمكن أن تحقق ما لم يتحقق بشرط
الاعتراف به، وهو ما يعرف معه رأى السامعين، ومدى رد الفعل الذى
يمكن أن يصيب القارىء، إنه الغضب على واقع نراه جميعاً ولا نفع
شيئاً لتغييره، لأن سادتنا الرافضين لهذا المنطق هم الأثرياء والأقوياء
والحكام الذين هم - على العكس من محكوميتهم - سلالة نور ..

إنه يدرك كل هذا ويعلن عنه بوضوح، يضيف هنا:

سيغضب بعض الحضور

ويشكون، يأساً، لجمعية الرفق بالأثرياء

فهم يرفضون انتقاص الثراء

وهم وحدهم يملكون

الجمال

وكلّ الشاء
وهم وحدهم يملكون السماح
وكل الرجاء
وهم من سلاله نور
ومسكنهم في أعالي الفضاء
وكلّ الخلائق طين
فهل يقبل النور
طيناً وماء
لأنك أعلنت بيع العرب
فقد أعلن الكونجرس
أنه قد أتمّ الشراء
وجاؤوا بعقد كذب
رأينا القبائل إثر القبائل
ترحل نحو المساء
وقد تركت خلفها كلّ حق
وأبقت عليها لباس
الهزيمة والانحناء
وشيئاً يروّي الظماء
فمن يخبر القادمين من الغيب
كيف استبيح الوطن
وعن أمة
ألجمت بالرسن

تباع وتنظر جلادها
وترضى بتعذيبها في غباء
لأنك أعلنت بيع العرب
فقد شرب المترفون المراءون نخب العنب
وأضحكهم
كيف بيع العرب
كيف ذلّ العرب
ولا من ترحّم
يوماً
ولا من كتب
وحتى (لسان العرب)
تبدّل صار
لسان الكذب
فمنذ السياسات زيفاً
ومنذ النساء
استحلن
لعب
ومنذ الرجال
أحبوا الذهب
فها نحن نعلن موت العرب (١٤)

ورغم ما يبدو من حزن دفع به إلى هذه الحالة، وتسليمه بإقامة
المزاد والبيع والشراء من البيت الأبيض، فإنه في قصائده التالية، يعود

ليؤكدده، وإن تفاوت التعبير، وإن راح يستدرج هذا المعنى، فيحاول
التخفيف منه في حالة الرثاء، أو الحزن وتصنع الحماس والتفاؤل،
والتخفيف منه إبان مناداته لابنته ريم أو طرح الهاجس قليلاً في تعبيره
الشعري الدرامي الحاد، في (نبض حائر)، و(حبل العروبة) فيما كان
وما أصبح:

قصصُ العروبةِ والردي يتأبطُ

قصصُ تطولُ وحاضرُ يتورطُ

كان انبثاقُ النورِ منها والندى

ومآثرُ الأعلامِ فيها تُغبطُ

ياذاكرًا تلكَ العصورِ وأهلَهَا

دارالزمانُ وصاروجها يقنطُ

وبعد أن يسهب طويلاً في هذا الشجن الدامي، يعاود في آخر
القصيدة وعيه الحزين :

فاستنقذني الأحلامُ يابنتِ الرُّبى

ولتعدني فَمَنْ الدُّنَى لا يغلطُ

فلربُّمَّا حَبْلٌ تقطَّعَ وصلُهُ

بين العروبةِ قد يُعادُ ويُربطُ

ونكونُ في وجهِ المصائبِ أمةً

سيفُ العدالةِ في عِداها مُسلطُ

ونرى البيادر مترعات حولنا

وعروبة تسمو وشرق أوسط^(١٥)

وتصل به الحال فى محاولة البحث عن رياح الأمل الذاتى، أن يخصص قصيدة فى نفس الديوان يسميها (يمانيُّ أنا)، ليعلن فيها ما يشبه إنشاد المتنبى منذ أكثر من ألف عام، فبعد أن يتحدث عن الأرومة العربية فى اليمن، (والمعروف أن الشاعر من أصول يمنية) لا يلبث أن يقول فى وسط كل هذا الواقع بفخر وحماسة شديديتين^(١٦) أن يقول:

حضارتنا حروفٌ من ضياء	كتابٌ لم يزل يحوي الثمين
(فمأرب) بالروائع جاء يحكي	مآثرنا وقد كانت حُصُوننا
وعن (إرم) سل (الأحقاف) تروي	أقاصيص القرون الغابرينا
فمن (قحطان) أنفاسٌ توالَتْ	ومن (عدنان) أنفاسٌ تلينا
فنحنُ العربُ بالتيجانِ كُنَّا	غسانةٌ، مناذرةٌ، معينا
ومن سكن العروبة يعربيّ	إذا صان الكرامة واليقينا
لبسنا المجدَ في الأممِ الخوالي	وألبسنا المدى علماً رصينا
وأجداد تربيّ الملكُ فيهم	وكان الدهر في يدهم جنينا

إن هذه النبذة بالألم إلى درجة إعلان موت العرب، نجدها تتناثر فى قصائده كلها، خاصة الأخيرة منها (المرايا)، و(أنفاس الورق)، إلى غير ذلك، بيد أنه، كما نشير من آن إلى آخر أن حالة الحزن، تولد الكآبة التى لا تلبث أن تعاود المراجعة للبحث عن الأمل فى الألم،

والخلاص فى الوعى بالتاريخ والعودة إليه والبحث عن المستقبل فى ضياع الماضى، وهو ما ينتشر أيضا فى خطاب هذا الشاعر.

وقد كان يمكن أن نسهب أكثر فى حس الشاعر الحزين، حتى ليمنح تخصيص أكثر من دراسة عن هذا، مع تلمس عدد كبير من المناهج لنحلل مثل هذه الحال، لكننا نكاد نجزم هنا بأن البحث عن العروبة كان لابد من المرور على طريق الظلام والألم التى يعيشها أصحابها ..

وقبل النزوع من حالة (اليأس) الدال هنا، لابد من استكمال دائرة العروبة، بعيد من بواعث الأمل الذى لم يفارق الشاعر قط، رغم سورات الألم التى لم تكن لتتقطع عن شاعر يخشى زوال هذه الأمة، فالله قادر - سبحانه وتعالى - أن يستبدل بالعباد العابثين آخرين أكثر وعيا وأكثر خشوعا، لإرادة الله ودعوته إلى التغيير كسبب من أسباب البقاء.

إننا لانخطئ فى إعادة النظر إلى أشعاره التى وصلت دواوينها إلى قرابة العشرين ديواناً، هذه النبذة بالتفأول أولاً، ثم هذا التصور الواعى للمستقبل الذى يجب - رغم كل شئ - مشيراً إلى أن الأمل عامل له . وهو مايصل بنا إلى مرحلة أخرى، تتغلغل فى خطاب الشاعر ولا تغادره أبداً، العودة إلى العروبة والإيمان بها عبر دلالات أخرى فى ديوانه .



إن القيمة المستمدة من الرومانسية الواعية، فى جيل السبعينيات حتى اليوم، تطل علينا إبان رصد عملية الإسراع فى الخطو، للخروج من حالة الألم والهزيمة المرة إلى تجاوزها .

وهذا التجاوز لا يكون بالحماسة المفرغة أو المديح المقترن بالرياء، وما إلى ذلك، وإنما بالإشارة إلى الطريق الصحيح، لاستنهاض العروبة مما تعانيه، وهنا نستعيد الحس القومي الذى طالما أشار إليه فى كتاباته وحوله . داخل كتاباته وخارجها . إلى فعل إيجابى، فهو لم ينظم الشعر وحسب، وإنما عاد فيه إليه أكثر الأشكال كلاسية ليعبر بها عن وعيه العربى، دون أن يغرق فى الماضى اللغوى أو التاريخ، وعبر عن الحس القومي بعدم التوقف عند معيار فنى محدد . كما سنرى فيما بعد . بل إنه عبر الشعر إلى النثر إلى أشكال كثيرة، الأكثر من هذا أنه عبر هذا كله . وهو ما يلاحظه من يرصد حركته الفعلية خارج دواوينه وأنديته الشعرية . إلى تخصيص الجوائز والهولة هنا وهناك فى الأقطار العربية والعالم الغربى؛ وهو ما يعود بنا ثانية إلى حركته الفاعلة . الإيجابية . فى تيار الشعر، لنرى إلى أى مدى كان خروجه إلى زمن العروبة الإيجابى، مقترناً فى الحالة الشعرية بعوامل إيجابية لا بد من الإشارة إليها أو التوقف عندها .

إن رصد وعيه العربى بالشكل الإيجابى، سوف يضع أيدينا على بعض العلامات التى لا يمكن تجاهلها :

- جدلية الوطنى والعقيدى: هذه العناصر التى يمتزج فيها وعيه الإيجابى بامتزاج الحس الوطنى بالعقيدى لنجد أنفسنا أمام صيغة (العروبة) الناضجة.

- الاعلان عن التفاؤل وضرورته: ثم وعيه المتفائل رغم ما نجده من ظلام الواقع، ووحشيته حيث تتحالف ضدنا الإمبريالية والاستعمار. فيقفان معا الإمبريالية الأمريكية والاستعمار الأوروبى.

- التبشير بالمستقبل، وشروطه ثم هذا الحس القومى بالمستقبل
الذى يرى - على العكس من كل الرؤى - أنه سيكون إيجابيا، وأن هذه
الإيجابية ترتبط بعناصر لا بد من التنبه إليها.

وتتحدد علامات الشاعر للخلاص، بعد أن عدد نقاط الضعف
وسحابات الظلام، فى زمن البحث عن العروبة التى تسلمنا إلى
الخلاص مما نحن فيه .

إنه يعى جيداً أن العقيدة لازمة لنقترب من الحس القومى، وقد
كرره كثيراً فى نظمه:

يا إخوة الدين والإسلام وحدنا لالن تفرقنا فى الله أحساب (١٧)

ولا يلبث أن يكرر بشكل آخر :

متى يرف السنا طيفاً يراودنا وتستريح من الأوهام أعصابُ

وجه العروبة والإسلام رائدُها وأنت يارب حنان وتوابُ

إن الحس العروبي، أصبح يراه فى كل مكان، إنه فى قصائده التى
نرى فيها تضافر الوطنى والعقيدى، ليبزغ نور العروبة على ثرى هذه
الأرض، بما يمكن أن يستهض الهمم، إنه على سبيل المثال يرى فى
كفاح الجزائري (الوطن والعقيدة) روح العروبة التى ناضلت طويلاً
وانتصرت يقول :

ثرى الجزائر هذا الرملُ من وطني

أشتمهُ نسماتُ في روابيها

أرضُ العروبةِ والإسلامِ من قديمِ

منذ الفتوح وتاجُ النصر يُعليها

منها الرجالُ وفيها العلمُ منبثقُ

منها المفاخرُ تسمو في معاليها؟ (١٨)

ولا يلبث أن يضيف وهو يحى الرئيس الجزائرى، وبما يحوى دلالة
الحس العروبى وفاعليته، أن يضيف عن الوطن العربى بهذا الحس
الواعى :

نريدهُ وطناً حراً يوحدنا

نريدها أمةً تسمو مراميهـا

فلا يفرقنا أصلٌ ولا وطنٌ

فكلُّنا طينةُ والأرضُ تطويها

لله نحن عبيدٌ لا شريكَ له

كلُّ الخلائقِ يُفنيها ويُحييها (١٩)

وهو فى موضع آخر، حين يتحدث عن (شعوب محمد)، يقترب أكثر
من هذه الشعوب التى تعرف الحس العروبى، فيقول :

بين نومٍ وبين جفنٍ مُسَهَّدُ

أمةُ العربِ شملها ما توحَّدُ

يا نياماً على المذلةِ ثوبوا

قبل أن تسكنوا قفاراً وفدْفدُ

وامسحوا العارَ عن ثرى كلِّ ميتٍ

إنما الموتُ بالكرامةٍ يُحمد

كيف نمتمُّ وأمةٌ تتهاوى؟
نحو قاع الخنى وكالقمح تُحصد
لا نرى في الغضابِ إلا كلاماً
ليت وَقَعَ الكلامِ مثل المَهَنَدِ
لا تني تَسْكُنُ الجراحُ نفوساً
وهي في أرضها تَهَانُ وتُجَلَدُ
وَحُدُوا خطوةَ الجهادِ ونادوا
أمةَ الدينِ للشهادة تشهد
وَحُدُوا العزمَ فالنفوسُ ظمَاءُ
يا شعوباً بالظلم تَفْنَى وتولد
وَحُدُوا الهمَّ فالهمومُ جسامُ
واقبسوا الحقَّ شعلةً من محمد
إن صهيونَ يملأ الأرض جوراً
والضحايا تَرَمَّدَتْ فهي جَلَمَدُ
وبناتُ الخدورِ ينشدنَ نصراً
من رجالِ حسامُهُمُ ظلُّ مُغَمَّدِ (٢٠)

ومن الجزائر إلى بيروت، حيث مؤتمر القمة، يشير الشاعر إلى هذه
الأمة التي تتكون من ألف مليون، ومن شعوب شتى، في حين أن العروبة

لا تفعل ما يمكن أن ينقذها من تلك المذلة، تقرأ:

بيروت يُقلقنا السؤالُ
ألم يحنْ يومُ الغَضَبِ؟
القمةُ ابتدأتْ فحيُّوا
قادةً لا ترتهبُ
وشعوبنا تذكي العزائمَ
والشعوبُ لها الغلبُ
تتجاوزُ الأفكارُ أزمنةً
تولأها السَّغْبُ
يا ألفَ مليونٍ وما
يجدي إذا انكفأوا عتبُ
يا ألفَ مليونٍ غدا
ما بينهم نارُ الشَّغْبِ
حتى وأشرطُ المذلةِ
كلَّ يومٍ ترتقبُ
والنزفُ من جسدِ الحياةِ
صدى المواجه والتعب (٢١)

ورغم كل هذه العتامة والواقع المر، فإننا لا نفتقد في الشاعر روح
التفاؤل والانفراج، بما يمكن أن يحدث، لو أننا كنا أكثر وعياً بالحس
العروبي، وأكثر وعياً بالشكل الفعّال للتوحد، أمام الغرب الذي يقف
أمامنا الآن في صلفٍ وعدوانية.

إننا في (أسطورة المجد) يستعيد هذا العالم الممعن في الحس

العروبي الخالص، ومن ثم، كان ممعنا فى الصلابة والقوة والمجد، إن
الشاعر هنا يعود إلى التاريخ ليتصيد لنا حلمًا يصحبه أكثر تفاؤلًا حين
يقول:

الخيـل والفرسان والرهان

وقصة الأمجاد والأعياد

أسطورة قديمة

جنينها الذى ولد

كشعلة الصباح حين مر

كانت لنا سير تطل كالرؤى على القمر فنغمس المداد فى السنا ونكتب
السَّيرَ

ورغم موتنا نعود بالذكر (٢٢)

ورغم كل هذا الواقع، فانه لا يلبث أن يصيح :

هيا ابدأ الحياة

ولا تقل لكوكب الفناء أن يظل ينتظر

وفى أحد لقاءاته مع أدونيس فى بيروت، يلحظ فيه الأسى لكنه
يرصد أكثر لحظة الأمل، إنه يستعيد (حالة) أدونيس وأشعاره ليخرج
منها بالتفاؤل عبر ماسوف يكون، وعبر هذه الأشعار التى يرسم بها
تجسد الحلم القومى، رغم كل ما نعانيه، يقول بعد أن يتحدث طويلاً
عن ضرورة العمل بدأب وتوق للخلاص، يقول موجهاً حديثه لأدونيس،
قائلاً:

امتلك بلاداً أنشأها من ثلج أو بلور

كي يسكن فيها العين الحور

وحين تكون جميع الدور بغير نوافذ أو أبواب
يفتح ما استغلق في أقبية اللغة الصَّعبه
والصوت الحائر يهتف يا أدونيس
قد ضلت بالآمال الأمه
ولأنت الواقف فوق جبال الدهشة
تجمع كل حروف الضاد
لتصنع تاريخاً يتحدث عن حقد الأضداد
وتعرف من سيصون بقايا الفكر المتمرد
من سيخون البدر
فلأنت الفكر وربان تبحر بالعصر
ولأنت النور وأنت النار
ومن يورق في جذب الأعمار

ونمر من الجزائر إلى بيروت لنصل - عبر الهزائم العربية - إلى
ما يحدث في العراق، فصدام مازال يلهو بشعوبنا العربية حتى أسلمه
الاستبداد والفتى إلى أن يقع في يد الحليف ثانية، ولأن العم سام كان
يتربق الفرصة، وينصب خيامه فوق الأرض العربية، فقد كان لابد أن
(يغزو) العراق، ووقع العراق فريسة في يد أمريكا، وتمارس الإمبريالية
فيه كل صنوف العذاب والاغتيل، وتحطيم التماثيل العربية (تم تفجير
تماثيل الحكام العرب عبر التاريخ العربي المجيد) وغيرها مما عاش
العراق فيه، مما مهد الطريق لتلهو أمريكا أيضاً بالأرض العربية
وبالرؤس العربية، بل وبالحس العربي النامي، بين أوطاننا العربية، ومع
هذا كله، فإن الشاعر يخرج من نير اليأس ومساحات الظلامية

الشاسعة، ليصبح رغم أى شىء فى قصيدة بعنوان (هدام العروبة)، بما
يرفع يأس الغشاوة عن أعيننا، ويصبح فى مساحات الظلام البعيد
قائلا للشعب العراقى :

سيضمم الجرح اللئيم
وسوف يعقبه ابتسام
فانفض جراحك والأسى
وأعد خطاك إلى الأمام
وامدد يديك فإننا
شوق إلى النجب الكرام
وينهى قصيدته الطويلة بهذا البيت الدال :
فالمجد بنيان العلى

والنصر يصنعه الحسام^(٢٣)

إن التناقض شاسع بين الحالتين، الظلم والنور، والاحتلال والحرية،
ثم بين الجرح الذى يتحدث عنه والذى لا بد سيضمم، وهذا الابتسام
وهو الذى سوف يعقب التئام الجرح، مستطرذاً فى الذى يجب أن
يدفعنا إلى النصر، والوصول إليه هو بالحسام والقوة.

وهو مايصل بنا إلى أهم عناصر الخروج إلى زمن العروبة، ونقصد
به المستقبل، استلهم الدواقع التى تفضى إلى تعميق الحس العروبى،
لنصل إلى بر الخلاص (= المستقبل) ..

وعلى هذا النحو، نمضى مع الشاعر من الرومانسية الإنسانية فى

دواوينه الأولى، إلى الإنسانية العربية (= العالمية) حيث نصل بها -
ومعها - إلى تخوم مافاتنا من الوعي بالآتى ..

إن عبد الله باسراحيل يرى آفاق المستقبل مرهونة بالعديد من
العناصر التى يجب التنبه إليها والعمل لها .

وسوف نشير إلى بعض هذه العناصر (كشروط)، فى نص
المستقبل للعروبة فى شعره .

إننا فى قصيدة (عصر التيه) وبعد أن يتوقف طويلاً أمام ما صنعته
بنا أيدي الصهيونية والغرب، وبعد أن يستعيد (وجه العروبة والإسلام)
فى هذا الزمن وما فيه من أحزان وطعنات، فإنه لا يصل بنا الواقع
إلى درجة الإحباط قط، إنه يقول - مستطرداً - مستعيداً - شروط
الوصول إلى مستقبل مزهر - أن يكون بين أيدينا من أسباب القوة
ما يوضحه لنا هنا فى نفس القصيدة :

غدا ستشرق بالأفراح أمتنا

إن جمعتنا على الإخلاص أسبابُ

سيبتنى الفكرُ أجيالاً معاقليها

خيلُ وجندُ وأسيافُ وأنشَابُ

ويسحقُ الهولُ إن وجدت عزائمنا

حَقْدُ الطُغَاةِ وَلَيْلُ الظلمِ يَنْجَابُ (٢٤)

ولا يلبث فى القصيدة التالية أن يرصد أسباب وقوعنا فى أسر
الحاضر الردىء، دون أن نعمل للمستقبل، فلا الخلاف انتهى بين

العرب ولا الفكر الواعى أصبح هو الهدف للعيش فى هذا العالم، ولا العلم وتقنياته أصبحنا نلتمس فيهما الحق، فالعلم هو الحق، هو الذى يهبنا القوة لنصل إلى الحق، نقرأ فى ذلك :

لم نتحد يوماً على
نبذ القطيعة والخلاف
لم ننتصر إلا على
حرب الأقارب والرهاف
لم نعمل الفكر الذى
يروى العقول من الجفاف

إنه لا يتوقف عن الدعوة إلى نبذ الخلاف والتوحد، يقول من قصيدة (يا شعوب محمد) فى وحشة الروح، وهى أبيات أشرنا إلى سياقها من قبل يقول :

وَحُدُوا خُطْوَةَ الْجِهَادِ وَنَادُوا
أُمَّةَ الدِّينِ لِلشَّهَادَةِ تَشْهَدُ
وَحُدُوا الْعِزْمَ فَالْأَنْفُسُ ظُمَاءُ
يَا شُعُوباً بِالظُّلْمِ تَفْنَى وَتُولَدُ
وَحُدُوا الْهَمَّ فَالْهَمُومُ جَسَامُ
وَاقْبِسُوا الْحَقَّ شُعْلَةً مِنْ مُحَمَّدٍ
إِنْ صَهْيُونَ يَمْلَأُ الْأَرْضَ جَوْرًا
وَالضَّحَايَا تَرْمَدَتْ فَهِيَ جَلْمَدُ

وبناتُ الخدورِ ينشدنُ نصراً
من رجالٍ حسامُهم ظلُّ مُغمدٍ
ولا ينهى القصيدة دون أن يقول ويكرر :
أطلقوا العزمَ فالمصائرُ حُبلى
وادفعوا البأسَ عن زمانٍ مهددٍ
واجعلوا الموتَ للحياة سبيلاً
إن تاجَ الفخارِ بالموتِ أسعد
فاقصفوا كالرعودِ كلَّ دخيلٍ
واضربوا ما بنى العدو وشيئاً
حطمي القيدَ يا شعوبَ بلادِي
جددي النصرَ يا طلائعَ (أحمد)
حاربيهم بكلِّ فكرٍ ذكيٍّ
وأميطي اللثامَ فالهولُ عَرِيدُ
أوسَعُونَا بغدرهم وتمادوا
وصَبَرْنَا وصَبَرْنَا اليومَ يَنْفَدُ
أيها المسلمونَ في كلِّ أرضٍ
أحرزوا بالجهادِ نصراً مؤكِّدَ
وارفعوا رايةَ النضالِ وحيُّوا
أُمَّةَ بالجهادِ تحيا وتسعد (٢٥)

وقبلها بقليل يكتب قصيدته وعنوانها (يامن يوحدنا)، وكأنه يصيح
مؤكدًا أهم شروط المستقبل والعيش فيه :
يامن يوحدنا

يقولها بين كل مقطع وآخر فى أسى وألم شديدين.
وهو يسرد من آن إلى آخر الواقع، ليؤكد أنه سبب الخزي الذى
نحيا فيه، الواقع الذى أصبحنا فى عرف أعدائنا (بعض الأرانب
والخراف)، هو عدم الوعى بالحس العربى الذى يدعو للتوحد
والعروبة، ليقول فى سخرية دالة عاتية:

قل للعروبة لاتخاف

فبلادنا أحلى ضفاف(٢٦)

والقصيدة زاخرة بمثل هذه السخرية التى تبعدنا عن الوعى بالواقع
حولنا، اقتربنا من الخلافات، وابتعادنا عن التوحد، ونفينا عن
مستقبل مشرق، ومن ثم، فإن العكس هنا، هو مايجب أن يكون، إن
تحاشى أسباب الضعف والفرقة والانكسار يكون أول شروط الوعى
بالمستقبل والعمل له ..

وأشعاره الأخيرة زاخرة بمثل هذا الحث على عدم الفرقة، إننا فى
ديوان (المرايا) نعثر على كثير من هذا الوعى الذى يؤكد العروبة بالبعد
عن الخلافات :
ياصاحبى كذبوا
وتفرق العرب
رهنوا مصائرنا

بمصيرهم وصبوا

حتى اذا هانوا

وتمزقوا هربوا

.....

واليوم قد صمتوا

للخوف وارتهبوا

ويراجع أمجاداً كثيرة، ويعود إلى التاريخ ليخرج به من الدرس الذى يهبه التاريخ لمن يريد أن يقرأ للمرة الأولى، فيختم قصيدته بهذه الكلمات :

ماتت هنا سبأ

وتفرق العرب (٢٧)

على أن من أهم أسباب الوعى بالمستقبل والعمل له يظل دائماً المقاومة، والفعل الإيجابى هنا لا يكون بمعزل عن الوعى بالماضى، واستعادة الزمن الذى أعاد فيه عنصر منظومة القوة عبر المستقبل، ولدينا من هذه العناصر الكثير.

ومن ذلك أن انتفاء الطغيان والاستبداد، يكون من شروط الوعى بهذا المستقبل، إنه يردد هذا الباعث كثيراً، ففى (توقيعاته) نقرأ :

- الظلم سلوك الطغيان

- رأى الواحد مغامرة المستبد

- ماضيك لا يموت بموتك بل مستقبلك

ويمكن رصد الكثير من البحث عن المستقبل، والوعى بضرورة

المقاومة والتوحد، ونبذ الطغيان وما إلى ذلك للبحث عن مستقبل يعى فيه العرب أمة واحدة تتميز بأهم سمات الأمة، هو الحس القومى فتصبح العروبة، أهم قاسم مشترك بين أوطاننا العربية، ويصبح الحس القومى هو القاسم المشترك بين أوطاننا العربية أو العروبة بشكلها السمع القوى..

بيد أن المقاومة تظل أحد أهم عناصر بناء المستقبل، وهو ما نتمهل فيه عند قضية فلسطين، خاصة، فى شعر الشاعر.



هوامش الفصل الثانى

(١) معجم المصطلحات السياسية، اشراف على الدين هلال مركز البحوث والدراسات السياسية، كلية السياسة والاقتصاد بجامعة القاهرة ١٩٩٤ ص ١١٣ .

(٢) حول معنى العروبة، صبحى غندور

www.wahdan.net/orobamean.html

(٣) السابق .

(x) من منا يغفل هذه النماذج لدى أعدائنا أنفسهم: التجربة الأميركية (دستور اتحادي/فيدرالية بين خمسين ولاية التجربة الأوروبية (تكامل تدريجي/من الكونفدرالية إلى الفيدرالية بين أمم ودول مختلفة) .والأمثلة كثيرة تردد فى عالمنا رغم أن عناصر (الثقافة العربية) تردد لدينا اكثر من غيرنا .

(٤) السياسة، عدد ١٢٣١٢ فى ٤ مارس ٢٠٠٣ .

(٥) توقعات، ط٢، ص ١٠ .

(٦) السابق ص ٣٥ .

(٧) السابق ص ٣٩ .

(xx) راجع قصيدة بعنوان (أحبك يا بلادي) :

(٨) الأعمال الكاملة، ج ١ ص ١٨٥ .

(٩) السابق .

(١٠) السابق .

(١١) الأعمال الشعرية، ج ٢ ط٢ / ٢٠٠٥ (قناديل الريح) ص ص ٣٤/٢٦ .

(١٢) السابق، قناديل الريح ص ٣٦ .

(١٣) السابق ١١٨ .

- (١٤) السابق ص ١٣٨ .
- (١٥) (انظر الأعمال الكاملة) السابق ص ١٦٧ :
- (١٦) الأعمال الكاملة ج ٢ ص ٢٩ .
- (١٧) وحشة الروح، ط٢، القاهرة ٢٠٠٥ ص ١٢ .
- (١٨) السابق ص ٢٢
- (١٩) السابق ص ص ٦١ / ٦٣ .
- (٢٠) السابق ص ٩٤ .
- (٢١) أبجدية قلب ن ط ٢ القاهرة ٢٠٠٥ ص ٢٠-٢٢ .
- (٢٢) مدن الغفلة، ص ص ١٩-٣٤ .
- (٢٣) ص ٣٣ .
- (٢٤) ص ص ٦٦ .
- (٢٥) وحشة الروح ص ٦٠ .
- (٢٦) المرايا، دار العلم للملايين، ط ١ / ٢٠٠٥ ص ص ١٢٠/١٢٦ .
- (٢٧) السابق ص ١٢٦ .

الفصل الثالث

العروبة وغياب فلسطين.. وفي مواجهة الإمبريالية

إن أكثر ما يلاحظ في شعر عبد الله باسراحيل، الاهتمام بالحس القومى فيه، خصوصاً، هذا الجانب الذى يجاوز التطور الرومانسى فى مسيرته، حين ينتقل من الوجدان والحنين منذ نهاية السبعينات، إلى القضايا العربية خصوصاً فى إطارها الإنسانى.

وعلى هذا النحو، راح يتفاعل إبداعه مع تلك القضايا المهمة، بالنسبة إلى عالمنا الذى تتحدد فيه الهوية العربية وبنالها الكثير من الانكسار، ومن هنا، يمكن تفسير تفاعل الشاعر مع أهم القضايا التى تهدد الهوية القومية والعروبة، ونقصد بها قضية فلسطين.

فهذه القضية لا تتوقف عند جانب واحد جغرافى من أوطاننا، وإنما تمثل أهم حلقة من حلقات الصراع العربى - الغربى فى التاريخ، وتبدو صورتها المعاصرة فى الصراع العربى الإسرائيلى، حتى أن آثارها امتدت وطالت كل عناصر العروبة فى عالمنا المعاصر.

وعلى هذا النحو فإن مراجعة هذه القضية فى إبداع الشاعر، تشير ليس إلى النكبة فى فلسطين بشكل عام، وإنما تشير إلى الحاضر الذى نعيش فيه، من حيث الصيرورة التى نمضى إليها منذ أكثر من نصف قرن، والتى حدد مسارها أكثر عبر تهادى الإمبريالية الأمريكية فى حركتها، من العراق مروراً بتقرير ميليس، إلى كل من سوريا ولبنان

صعوداً . مع الصهيوتية والمحافظين الجدد . إلى محاولة إجهاض الواقع العربى أو الوعى بقيمية العروبة، فى هذا العصر الذى نعيش فيه .

ومن هنا، ومع مرور الوقت، بدا واضحاً، أنه لا يمكن السكوت عن غياب فلسطين، وليس (كامب) ديفيد وأضرابها فى العصر الحديث، يمكن أن تعيننا على قضية مصيرية مثل هذه القضية، والمتتبع لشعره منذ بداية السبعينيات يمكن أن يلاحظ فيه اتساعاً لموجة الرومانسية أكثر خاصة مع ديوان (النبع الظامىء)، حيث تحتوى فلسطين على القدس التى تمثل أهم أضلاع الحس العربى فى العصر الحديث .

قبل أن نرى ملامح البحث عن أثر غياب القضية وتداعيتها، ويجب أن نشير إلى ملاحظة بدهية، هى، أن شعر عبد الله باسراحيل وإن احتوى خصوصاً فى بداياته حساً وجدانياً، فإن هذا الحس فى (كل) ما كتب لم يختلف منه حس آخر أكثر بعداً ووعياً ينتمى إلى الواقع والمصير هو الحس العربى .

إن إرهابات الخوف من المجهول، تسرى فى كل ما كتب ونظم والخوف من اتساع الدراما المؤسسية التى بدأت بضيايع فلسطين، هو ما يسرى فى كل ما كتب سواء بشكل مباشر أم مستعار .

ولأن البحث عن فلسطين وتداعيات أحداثها، تحتاج إلى مؤلف خاص، فسوف نتمهل هنا عند أهم ما تثيره هذه القضية، فى وجدان شاعر من الحجاز، حيث هددت العروبة فى أعلى درجاتها .

ومن هنا، سوف يكون تركيزنا على الواقع المؤسى، ومن ثم، الوصول إلى رد الفعل الجمعى الذى يصل فيه الشاعر إلى درجة عالية من التعبير الإبداعى .

وهذا التعبير الإبداعي يؤكد أنه لابد من المقاومة، لابد من اليقظة لهذه المؤامرة التي تتحالف فيها ضدنا الإمبريالية العالمية، وإسرائيل معا.

ومن ثم، فإن قوة الفعل تعكس - بالتبعية - درجة التعبير.

لقد راود الشاعر نفسه للسلام وحسب، إنه يمكن لكل ما حدث ويحدث من اتفاقات عن السلام، لا يمكن أن تعيد إلينا حقوقنا لأنها من دون جدوى، فهو يصور فترة انتظاره السلام ورفضه له، بعد ذلك بشكل مسلسل، نشير إليه بعلامتين:

ماذا جنينا وداعي السلم ينظرنا

وكم يخاتلنا في الوعد كذاب

نستمطر النصر في دنيا معرودة

ونحن في نظر الأعداء أسلاب

ما صان صهيون للإسلام حرمة

ولا النصارى له خل وأصحاب

أفكار ماسون تحيا في ضمائرهم

وشريعة الغاب مفتوح لها باب

والعالم اليوم يخشى من جرائمهم

فكيف يشقى بهم دهر وأحباب

وهذا الحس بالخوف من العدو الخائن، يدفعه بعد ذلك إلى رفض ما يطرح عن السلام، إنه يرفض فكرة السلام مادام العدو ماضيا في

غيه، يحتل الأرض، ويرتكب الفظائع، وهو ما يفسر العلامة الأخرى
التي رأى معها استحالة إقامة سلام أو تفاهم مع عدو مخادع، فيترجم
هذا رافضاً أى طرح كاذب يطرح قائلًا:

كيف السلام مع الباغي وما رغمت

منا النفوسُ وروضُ الموتِ معشاب

كيف السلام ودين الله حجَّتْنا

كم يمكرون ومكرُ الله غُلابُ

كيف السلامُ نبيُّ الله حذرنا

إن اليهود بنبذ العهدِ قد خابوا

إن ذلك كله يسلمه إلى رفض حالة السكوت التي نعيش فيها إما
انتظاراً لسراب أو خداع يأتى إلينا ليزيدنا خزيًا، إنه الهاجس الذى
سيطر عليه ودفعه بعد ذلك إلى الخروج من شرنقة الانتظار والتوهم.

إننا لانعدم هذا الهاجس فى كتابه (بيت القصيد) الذى يحمل
(الإيجاز التوقيعى)، عبر الإبداع الذى يحدث، عبر تأملات المبدع الذى
يكون فى الغالب - أكثر من غيره - وعيا بالمخاطر التى تحيق بنا، انظر
على سبيل المثال، كيف يرى الواقع بالعين المجردة فى الأفق العربى
(=العروبة)، ثم كيف يري دلالات طيف ترتد إليه فى أقل عناصرها
(الطفل) الصغير، لنقرأ بيت القصيد تحت عنوان (حال الأمة):

يا كوكبَ الآلامِ والصبرِ

ضحَّ السكوت بحالنا المزري^(١)

ولا يلبث فى موضع آخر حائرًا بهذه الحالة التى نعيش فيها، الحالة المزرية الحاضرة، فيضيف وهو يشهد القمم ويسمع الضجة "بلا طحن"؛ متسائلًا حائرًا: السؤال):

هَلْ تَسَاءَلْتَ الْقِمَمُ

مَاذَا تَقْدُمُ لِلْأُمَمِ (٢)

ولما لم يجد ردا شافيا، يسقط أكثر فى حيرته ويغيب فى سؤال بغير إجابة، ويتمتم (وماذا بعد) ويضيف :

وَمَاذَا سَوْفَ نَنْتَظِرُ

وَشَمْسُ الْعُرْبِ تُحْتَضَرُ (٣)

وهو ينادى القدس بشكل مقتضب حائر، يحمل أسئلته المتتالية التى تجيب عن نفسها فى صمت، إنه ينادى القدس :

يَا قَدْسُ يَا شَرْفَ الْعُرْبِ

يَا قِبْلَةَ الدِّينِ الْمُهَيْبَةِ (٤)

على أن رسم المبدع للواقع لا يحول بينه وبين الشخصى إلى بعيد، إن الواقع قائم لكنه لا يفقد الأمل أبداً فى أمتنا، إن الواقع يمتزج بنقيضه، إن الواقع المزرى لأمتنا العربية، والصمت المريب الطويل الذى نجده فى الكوادر العالية والهيئات السياسية، لا تحول بينه وبين أن يرى من بعيد صوت المقاومة التى زادها الظلم ضراحا / فلنشر إلى شئ من هذا الظلم المبين، قبل أن نرى القدر الذى دفع صاحبه إلى المقاومة بأية صورة، نقرأ له:

خمسون عاماً وما افترت سرائرنا
إلا على صرخةٍ ثكلى لمتهنِ
خمسون عاماً وجرح لا يبارحنا
إلا وجرحٌ جديدٌ جداً زمني
خمسون عاماً خيول الحق واقفة
واليوم ضاقت من الأغلال والرّسنِ
عرسُ الضحايا وقد جننا نباركهُ
ونحن في ربةِ الأعداءِ كالدمنِ
عرسُ الضحايا عيُونُ كم تناظره
وما استشاط بنا قلبٌ من الحزنِ
عرسُ الضحايا شموعٌ سوف نوقدها
للقادمين ولن تخفى على الفطنِ
ويضيف وهو لا يكاد يتلمس القدرة على الصمت الموجه متألماً :
أواه أواه والليلُ البهيمُ سجا
وكلنا غارق في مُتعةِ الوسنِ
أواه أواه يهتاج الضياعُ بنا
وكم يخذلنا بالوهم والمننِ
أواه أواه إعصارٌ وقارعة
تئن منها صدور السّرّ والعَلنِ

ولا تلبث أن تخرج الأسلحة القليلة التي يمتلكها صاحب الحق، وإن كانت غير الحجر السكين أو القنبلة، وغير هذا استعادة الزمان البعيد (مثل حطين)، كأحد الأسلحة المتاحة للصمود واستعادة المكان (القدس)، ونور الحق الذي يبذل صاحبه من أجله النفس من أجل كرامة الإنسان، ومن هنا، فإن قصيدة (رصاصه من فلسطين)، خليفة بأن تعكس لنا كل ما يدور في الأرض المحتلة، ومن رسم دقيق للتاريخ (الماضي)، ثم ما يحدث الآن (الحاضر) ومن ثم تعكس - في اللاشعور الجمعي، الثمن الذي يجب التنبه إليه وتقديمه إذا أردنا البحث عن العروبة.

ولأهمية القصيدة في هذا السياق نستأذن القارئ أن نتركها بين يديه ليرى فيها هذا الفعل المعادى الذي يسعى الغرب به للقضاء على فلسطين (= العروبة) ولو بالمجازر، كما سنرى فيما بعد، ورد الفعل العربي الذي يسعى للمقاومة من أجل حرية الإنسان العربي وعروبتة، نقرأ معا :

فلسطيني.... فلسطيني

ورب البيت يحميني

قلبتهم يا طغاة الأرض

أشواكاً رياحيني

وبين جوانحي قلبٌ

يظللني ويرويني

أنا المطعون في أرضي

وفي قدسي وزيتوني

كواسرُ الغابِ جاءتُ تبتغي نهماً
تريدُ شبعاً من اللحم الطري هني
كواسر الغاب تستحي رغائبها
قد أبدعت في شتاتِ العربِ بالظنِ
كواسرُ الغابِ أضيافُ بروضتنا
تُسقى دِمَانا بأقداحِ من الغُبْنِ

الخروج من الشرنقة

وهنا يكون علينا الخروج من الشرنقة، إن رد الفعل يكون بقدر حجم الفعل، ورد الفعل يبدأ بعد العديد من اتفاقات ورسميات واجتماعات، من كل الصور التي يبلغ بها الألم مداه، ليصل إلى الطفل العربي الذي يكون أكثر من غيره وعياً بما يجب أن يقوم به، ومن هنا، يكون أكثر من غيره وعياً بدور الحجر في مواجهة أعتى قوى، تحاول الاستيلاء على الأرض العربية، اقرأ هذا البيت - بيت القصيدة، تحت عنوان صريح (أطفال الحجارة) وتأمل ما فيه:

سأريك شيئاً مدهشاً عجبا.. سأريك طفلاً صارعاً الشُّهْبَا (٥)

إن الشاعر يدرك جيداً (حال) الأوطان، ويدرك جيداً تشتت الوعي بالعروبة، فلأنها غير حاضرة، فإن الحاضر يظل يعكس ما يحدث حوله، ومن هنا، فهو لايهتم كثيراً بحال الأمة، كما لايهتم كثيراً بهذا العالم حوله الذي لا ينتبه إلا على صوت القوة، وإن كانت في شكل مقاومة (الحجارة) وإن كانت من الأطفال .

بلا دار بلا مأوى
وأهلي لم يعودوني
وقومي بين مقتول
ومجروح ومسجون
وذنبى أن لي أرضاً
وداراً في فلسطيني

● ● ●

قد اغتصبت يدُ الباغي
حماها واستبى طيني
يدنسها يهودُ الغدر
أبناء الملاحين
عصابة ألف أفاك
وخوآن، وماسوني
رعاع العالم المأفون
أسراب الجراذين

● ● ●

فلسطيني ونار الثأر
تصرخ في شراييني
أنامُ على لظى النيران
أسقيها.. وتسقيني
وأنثر في ذرى الأمجاد
أزهاري ونسريني
لقد فجرت قنبلتي

وقد جردتُ سكينني
لأن قضيتي جرحٌ
بأعماقي يناديني
فما أجدتُ مطالبةً
ولا صوتُ القوانينِ
عدوي " في تعسفه "
تجاوز ظلم.... نيرون

• • •

يساوم في نهايتنا
ويبذل... للشياطينِ
يتيه بأرضنا صكفاً
ويفتك غير محزون
ونحن على جدار الموت
نسخو.... بالميامينِ
فلم ترتد أمريكا
لتطفي نار... " شارون "
وحاكمها يصم السمع
عن وجع الملايينِ

• • •

أقول لكم أنا العربي
أنا الشعب الفلسطيني
أنا البطل الذي أبلى

"بجالوت" و "حطين"

أنا الشمسُ التي بزغت

على كل الميادين

لبست اليوم مفخرة

أعز من النياشين

برغم الجرح يسكنني

ورغم الضيم يؤويني

ورغم الذل في وطني

أقاتل كل صهيوني

سأمحو العار يا قدسي

بتفجير... البراكين

وإن نكثت عروبتنا

فنور الحق يكفيني

أيرمى كل من يحمي

كرامته بتخوين؟

وتنفث بيننا الأرزاء

سماً كالشعابين

• • •

فلسطين أيا وطني

ويا عطر الرياحين

قد اشتقنا إلى حيفا

إلى خضر البساتين

إلى الدوح الذي هشت
به الأغصانُ تدعوني
إلى أحياء موطننا
لأرضك يا فلسطيني^(٦)

والقصيدة كما نلاحظ تحمل وعياً جيداً بالحاضر، سواء بالداخل حيث العروبة تهدد تهديداً مروعاً، وحيث الوجود الأجنبي لم يعد يستهدف فلسطين فقط، وإنما الأرض العربية كلها، ويمكن أن نلاحظ مع د. إدريس بلمليح هنا حضور "ياء المتكلم بقوة، فحضور هذا الضمير يعنى الصيغة الاندماجية فيما يخص هذه القصيدة، سنستخلص لا محالة إنه اندماج بالأرض؛ أى أنه لا فرق بين الذات والأرض، فهي ليست جزءاً من الذات، وإنما التطابق بينهما يصل إلى حد الانصهار الذى لا نستطيع أن نميز ضمنه بين الضمير العائد إلى الذات، والضمير العائد إلى الأرض" (٧).

ويرى الكاتب أن الغموض الذى يلف هاتين الوحدتين المعجميتين دل دلالة واضحة على التمازج والاندماج اللذين يريد التوقف عندهما . هل الكلام هنا يتعلق بشخص محدد هو الإنسان الفلسطينى بصفة عامة، أى بشخص ينتسب إلى فلسطين فينتسب إليه الخطاب، أم أننا بصدد ذات تنسب إلى نفسها فلسطين فتكون فى حالة تطابق تام معها . وعلى هذا النحو، فإن الجواب عن هذا السؤال - كما يذهب المؤلف هنا - سوف يسفر عن تطابق واضح بين الذات والأرض والخطاب . يقول الشاعر :

وذنبى أن لى أرضاً
وداراً فى فلسطينى

لقد كان بإمكان الشاعر، أن يستغنى عن ضمير المتكلم المضاف إلى فلسطين، فيتم له ما أراد من شعر (موزون ومقفى) دون أى خلل، لكنه لا يريد ذلك بقدر ما يريد التمازج والانصهار الدلالى بين الذات والأرض والخطاب، (الذات = الأرض = الخطاب)، إلى الحد الذى لا نستطيع معه أن نميز فى هذه القصيدة بين فاعل البيان وفاعل العبارة، أى إن الذات الإبداعية هى نفسها الذات الحاضرة فى الخطاب.

وعلى هذا النحو، فإن الاندماج بالأرض إلى حد الاستشهاد، يؤكد لنا أن المبدع يريد أن يصور أن الخلاص مما نحن فيه، فى أى مكان كفلسطين يستوجب الإمساك بالعروبة والعض عليها بالنواجذ كيلا تظل بلادنا نهباً للقوى المتسيدة فى هذا العصر، ومنها القوى الإمبريالية (الأمريكية) وهو ما سنتمهل عنده فيما بعد، كما نرى فى القصيدة.

وهو ما يقال بشكل آخر عن قصيدة أخرى دامية، (صبرا وشاتيلا) التى يقول فى خاتمتها بعد استعراض أسباب القوة، ومصير الضعف ومدى الحرص على العروبة، يقول فى نهاية القصيدة :

إيه يا شرقاً غدت ساحاته
يستثير النقع فيها النكما
حسبنا الفرقة شلت عزمنا
ما رعيناه الحق لا والرحما
هل ترى المحنة فينا أيقظت

غفوةً تبعث فينا الشمما ؟
ربما عادت لنا أمجادنا
ذات يوم نتسامى ربما (٨)

فالقدس بهذه القيمة عند أبناء العروبة تصبح فى أيد العدو أقل
شأنا بكثير، إذ تتمحى منها هناك علامات العروبة ؛ بل يسعى هذا
الآخر إلى محاولة (تهويدها) تماما، وهو ما يعمق الهوة بين الواقع
المزرى والعروبة الغائبة، حتى أنها تصبح عند الغربى الغازى بلاداً أقل
شأناً كثيراً من جزيرة مثل الفوكلاند:

هيهات ما أخزاهم فالقدس ما عادت جزيرة (٩)

إنه الواقع المؤسى، المستمر المفروض، فى استمرار واقع آخر
مسكون بالضجيج دون الفعل هو الذى يدفع إلى الرفض ومن ثم
المقاومة.

إن الواقع هو الذى - لا يزال - يدفع إلى الرفض والمقاومة، وما زالت
صور العنف والاحتلال البغيضة، تفرض على شاعرنا المقاومة، فقد نال
منا العجب الذى يؤجج الحس العربى للنضال ضد صهيون، ووصل إلى
مداه ففى قصيدة (إياك والقدس) يبدأها على هذا النحو :

إياك والقدس دون القدس أبطالُ
واستمهل الغدر تستدنيه أهوالُ
(صهيون) وارفضت الأنفاسُ ثائرةُ
واستنفرت لنداء الثأر أجيالُ
وهنا يضيف مباشرة :

كان الزمان لكم أيام فرقتنا
واليوم تجمعنا فى الدين آمالُ
جموعنا فى رحاب الأرض واقفةً
إذا الجهاد دعاها سرّها الفال (١٠)

وهو بعد أن يؤكد لصهيون الغضب، ويدفع أبا عمار والشعوب
الإسلامية والعربية للاتحاد والموقف الواحد، يندفع إلى الغرب أصل
الداء، ويعجب وهو يقول:

يا للغرابة ما للغرب فى صمم
يرى دمانا ولا يُلقى لها بال
وسيد العالم (الغراء) طلعت
يؤيد الظلم فينا وهو يغتال
الخروج بالحجر

وعلى هذا يكون خروجه من الشرنقة مقترناً بالوعى، المقاومة هى
السلاح الوحيد الذى يفهمه العدو، هو الخروج من الشرنقة بالحجر.

كان الشاعر وسط هذا كله مازال يشهد، وهو يسعى لرفد الحس
العربى بأمل قبول السلام الذى يسمع عنه، فإذا كل ما يحدث يؤكد له
ألاً سبيل آخر غير المقاومة، غير أن الأحداث التى تعمق من المأساة لا
تزال تعمل، إن الأرض الفلسطينية راحت تزيد وعيها بأن تقاوم
بالحجر، والدم العربى المراق مازال ينهمر بدون حساب؛ وهنا يعود إلى
سورة الحجر ليترنم بها :

حجر.. حجر
ارم صوباً بالحجر

قد جاء أشباه البشر
من جور هو لاكو
ومن حقد التتر
حتى انتبهنا
بينما الظلم اقتدر
جاء اليهود
فأين سيفك يا عمر
حجر.. حجر (١١)

وتستمر سورة الحجر فى العديد من القصائد الأخرى، التى تروى
حجم المأساة التى دفعت إلى الحجر.

وهو فى هذا كله مازال يلحظ هول المأساة، تمضى مع هول
الاستبسال فى موكب الحجر، إنه يسرع ليرفض السؤال عن خسائر
الجهاد، وإنما يسعى إلى بشائر النصر، لنقرأ هذه القصيدة (الموت
الأعزل) لنرى إلى أى حد كان الشاعر يرى فلسطين الغائبة الحاضرة
تناضل أمامه:

كم عدد القتلى

لاتسأل

كم عدد الجرحى

لاتسأل

كم بكت الثكلى

لاتسأل

بل سل عن أحجار العزل عن وأد الأطفال الجهل

عن زهر شباب يستبسل
لاتسأل وقتى لاتسأل
فجوابى يا علمى يجهل

إن الشاعر هنا مازال يرى الألم يعم، لكنه مازال يرى روح المقاومة
تسرى وروح الانتفاضة مازالت تسرى فى الجموع، فروح الجهاد قيمة
عربية إسلامية لابد من التمسك بها، رغم الظلم ورغم حجم الخسائر،
إنه يتحدث عن (الانتفاضة) وأبطالها، فيصيح تحت هذا العنوان فى
تأمل يفضى إلى حجر: (١٢)

حجر.. حجر

بالموت إذن يسعى إلى الحياة، وبالمقاومة إذن يسعى إلى التحرير،
ففى قصائده التى تتمثل عناوينها من هذا الواقع المرير ما زال يتحدث
عن (زفاف الشهداء)، إنه يحادث القدس فى تلك القصيدة فيقول:

أملت عروبتنا لظى

من قبل (رابين) و(موشى)

ميلادنا يوم الفدا

ياللسهام فلا تطيشى (١٣)

وعلى هذا النحو، فإن الخلاص لا يكون إلا بالمقاومة، والمقاومة لا
تكون إلا بالوعى بالحس العربى فى هذا العصر الذى لا يعرف غير لغة
واحدة بعد أن مات التاريخ أو أماتوه.. فالمقاومة إذن هى ما سعى إليه
الشاعر كيلا تغيب فلسطين طويلاً.. وهى تجليات الوعى بسلاح
بالعروبة والعمل بها.

(السيناريو الأمريكى)

لأنريد أن نعيد صور الموقف الأمريكى المعادى لنا منذ زمن بعيد، وهو ما بدا واضحاً فى الأربعينيات من القرن الماضى، غير أننا هنا بصدد فى البحث عن صور هذا الموقف عبر نصوص باشراحيل وطاقته الإبداعية الخلاقة.

بيد أننا أريد التأكيد على ملاحظة بدهية، هى، أننا لا أريد التركيز من البداية على العلاقة بين الشرق والغرب الأوروبى، وإنما غرب العم سام - الغرب الإمبريالى - فبينما الأول يتمهل عند قطبى المستقبل ويشير إلى رموز الاستعمار، كما عرفناه منذ القرن الخامس عشر الميلادى، إبان بدء حركات الاستكشاف الأوربية، فإن الآخر - وهو الذى يهمنى هنا - يشير إلى رموز الإمبريالية الأمريكية منذ عرفناها فى القرن الماضى، (تردد كتابات الفكر السياسى أن القرن العشرين هو القرن الأمريكى).

فالإمبريالية الأمريكية بدت أكثر وضوحاً - عبر الوثائق من الأربعينيات من القرن الماضى بشكل عملى^(١٤).

ويمكن رصدها فى مرآة الإبداع عند الشاعر العربى - عبدالله باشراحيل - ففى حين لم يكن يأبه كثيراً بالغرب الأوروبى، من حيث الدور العدوانى يتوجع كثيراً للدور الأمريكى الجديد الذى يناصر الصهيونية، ليقبض أكثر على إرادة الشعوب العربية .

لقد رأيناه فى نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات - فى الديوان الثانى مباشرة - يشير إلى لندن بعدم مبالاة :

فابعدي لندن عن ساحاتنا

واتركينا، ودعينا للمعالي (١٥)

فى حين أنه طوال الثمانينيات يلوح بالخطر الأمريكى ويتوجع
بالفعل الأمريكى ضد العروبة، يقول فى ديوانه الثالث مباشرة - النبع
الظامىء إبان صلف العدو الصهيونى:

فلم ترتد أمــــريكا

لتطفئ نار.. "شــــارون"

وحاكمها يصم السمع

عن وجع الملايين (١٦)

إن الدور الأمريكى يصل إلى أقصاه فى الربع الأخير من القرن
العشرين، فى الوقوف بجانب (وكيله) الصهيونى، فى المنطقة، بشراسة،
وعنف ضد العروبة وأصحابها، وهى ليست مصادفة أن نقرأ فى هذه
الفترة قصيدة ضافية للشاعر يسميها (ويل العروبة) يتحدث فيها عن
(شئ يدمدم فى الفضاء رهيب) (١٧) وبعد أن يصف حجم الدمار الذى
تأتينا به هذه القوى المدمرة من الخارج، والغفلة التى نعيش فيها فى
الداخل فى أوطاننا المتصارعة يئن قائلاً :

وتمايلت بغداد من صرعاتها

ما للعروبة امرها مغلوب

إن العروبة تنال ماتتال أكثر بعد ١١ سبتمبر، أما من تسعينيات
القرن العشرين وقد سقط سور برلين، وتأهبت القوى الإمبريالية أكثر

لتدمير كل شيء أمامها، حتى لنرى هذا العقد وقد زخر بإشارات
عنيفة على الخطر القادم، وحين دار سيناريو ١١ سبتمبر، وهو
سيناريو - فى رأى الخاص أخرجته البنتاجون بالتعاون مع وكالة
المخابرات الأمريكية - لم يستطع الشاعر غير أن يرى هذا السيناريو،
فى شيء من الحيرة التى يشوبها الحس بالتوفيق لما يحدث لهذا
العنف المستطير الذى يشير إلى ماسوف نعانیه كثيراً، وهى قصيدة
طويلة جاء فيها :

...

أمريكا الأقوى لاتقوى

فالهول البين

دور شامخة تنهاوى

(البنتاجون)

ماذا حدثتك يا صاح ؟

قل من يومين ؟

أنبأتك ما مثل الأقوى

بين القطبين

أنبأتك جباراً فرداً

لاجبارين

أنبأتك عن عدل البارى

فى المغرورين

...

وبعد أن يشير إلى ما يحدث لنا فى شيء من الشماتة:

فجميع ضحايانا دمهم بخس

ودم الجبروت ثمين

لسنا الإرهاب كما قلت

ولا مرتهبين (١٨)

وعلى هذا النحو، يكون عليه أن يراهن على أن الذى حدث إنما هو غضب من الله سبحانه وتعالى، وفى الوقت نفسه، يلحظ طبيعة هذا الصراع الشرس بين الغرب العنيف والشرق الضعيف، وهو لهذا يحاول أن يردد فى كتاباته التالية مايعنى أن الارهاب ليس هنا على العكس مما يقال، وإنما الإرهاب هو الذى يحدث ضدنا، خصوصاً، حين تتأهب الولايات المتحدة الأمريكية لتواصل رد فعل(السيناريو) الذى خططت له خصيصاً من قبل بتحريك البوارج، والذهاب إلى المناطق الاستراتيجية والتأهب للسيطرة على المناطق التى لم تخرج عن (الاستراتيجية) الأمريكية بأية حال .

ولأن الشاعر لايمك - مع العربيين - غير الصياح .. فإنه يكتب موجهها رسالته إلى هذا الجبروت بعنوان (البوارج .. والرحيل) يدعو الأمريكيين للرحيل عن أرضنا، يقول فى نهايتها :

قل لواشنطن البغيضة غيبى

عن ثرانا فأهلنا اليوم رووا (١٩)

فى هذه الفترة يكتب الرد على بيان المثقفين الأمريكيين يسعى فيه إلى تفنيد مايقولون ..

بيد أن قصائد التالية تمثل اكتمال الخطاب العربى، ضد الإمبريالية الجديدة .

هوامش الفصل الثالث

- (١) بيت القصيد، السابق ص ١٩٩
- (٢) السابق ص ١٩٢
- (٣) السابق
- (٤) ص ١٨٥-١٨٢
- (٥) ص ١٨٠
- (٦) الأعمال الكامل، السابق ص ٢١٢
- (٧) الذات الإبداعية المنكسر والانبعاث، دراسة في شعر عبدالله محمد باسراحييل - د. إدريس بلمليح، ٢٠٠٣ صص ٩٨-٩٩ المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت
- (٨) الأعمال الكاملة، ج ١ السابق ص ٢٢٩ القصيدة هي (صبرا وشاتيلا) .
- (٩) السابق ص ٢٤١ .
- (١٠) السابق
- (١١) السابق ص ٤٩
- (١٢) انظر الأعمال الكاملة/ ديوان قناديل الريح، السابق صص ١١٦-١١٨ .
- (١٣) السابق ص ٨١ .
- (١٤) السابق ص ١٦٤ .
- (١٥) الأعمال الكاملة، السابق ص ١٣٨ .
- (١٦) السابق ص ٢١٦ .
- (١٧) السابق صص ٢٢٣-٢٢٨ .
- (١٨) السابق ص ١٣٩ .
- (١٩) السابق ص ١٥٢ .

الفصل الرابع

العروبة .. "القلائد" و "الجراح"

منذ البداية ثمة ملاحظة لابد منها، هي أننا لا نستطيع فصل مثل هذا الرد على البيان الأمريكي (للشاعر عبد الله باسراحيل)، عن كتاباته وأشعاره السابقة التي سبقت الإشارة إليها، ذلك لأن التفاعل الدلالى له يمثل نسيجاً واحداً لا تتنافر خيوطه على اعتبار أن (وجهة النظر) الإبداعية تعكس الواقع لا الخيال بأية حال كما ذهب بعض النقاد الغربيين.

وعلى هذا النحو، فإننا نستطيع أن نرى تجليات العروبة تتناثر فى عدد من دواوينه الشعرية، بقدر ما نجدها فى كتاباته النثرية، ومن أهمها (قلائد الشمس) و(الجراح تتجه شرقاً)، ومن ثم، فإن محاولة التمهّل فى هذا الفصل عند القصيدتين الأخيرتين أو الشكّلين الأخيرين من الكتابة، إنما يمثل تياراً عميقاً رائقاً يلقي فى مجرى التفاعل الدلالى ويؤكدّه هنا.

وهو ما يدفع بنا إلى تناول الأثرين الأخيرين فى إطار أشمل هو إطار تجليات العروبة عند الشاعر.

هذه ملاحظة، الملاحظة الأخرى تتمثل فى أن البيان الأمريكى وجد تجاوباً معه، فى قصيدة الشاعر التى نشرت مع ترجمتها، بنسختها الإنكليزية والفرنسية، نقول وجد حواراً معه من الشاعر العربى بنفس

اللغة، فالمعروف أن البيان العربى صدر بالعربية والإنجليزية فى آن واحد، فى هذه الفترة التى كانت تتوالى فيها ردود عربية على البيان، لا تتجاوز الصحيفة العربية التى نشرت فيها أو ردًا فى شكل مقالة

لا تعرف طريقها إلى جملة المثقفين الغربيين الذين كتبوا البيان بالإنجليزية هناك، فى محاولة لتأكيد (الاستراتيجية) الأمريكية التى أعيد تركيبها فى التسعينيات.

ثمة ملاحظة مهمة لا يمكن إغفالها هنا، هى، أنه فى حين تتشابه الدلالة فى القصيدتين (قلائد الشمس)، و(الجراح تتجه شرقًا) خصوصًا فى الموقف الإمبريالى الملتوى الذى يأخذه الغرب من الشرق، فيتحدث عن عدالة صورية وديموقراطية عامة فى القصيدة الأولى، فإنه يتحدث - وإن يكن بشكل أكثر قسوة - عن دعاوى الإصلاح الكاذبة التى ينادى بها الغرب للشرق، كأن يتحدث عن الديموقراطية والحرية وتمكين المرأة، إلى غير ذلك مما يقال، فى حين أن ما يحدث فى بغداد حتى الآن يؤكد أن الغرب بعيدًا تمامًا عن مثل هذه القيم، وأن العداء المتأصل بين الغرب (الإمبريالى) والشرق العربى، هو هو يظهر قائمًا ويزيد من أواره الغرب خاصة، بيد أن مراجعة هذا البيان الأخير والقصيدة التى كتبت من أجله نرى أنه يسعى إلى حكامنا ليتحدث إليهم بوضوح شديد لنخرج من كبوة الغرب.

القلائد...!!

فالمتتبع لحركة الإعلام الغربى - خصوصًا فى الولايات المتحدة الأمريكية - إنه إعلام لا يحاول الوصول إلى عقل المواطن العادى، كما

أنه لا يسعى إلا إلى إقناع محاوريه هناك بنفس اللغة التي كتب بها البيان، ومن هنا، فإن اللغة العربية ترجمت إلى لغة الإعلام الغربى كيلا يظل هناك فاصل بين ما يفكر فيه المواطن العادى، فضلا عن المثقف، وما يقدم إليه، وهروباً من وجهة النظر (الواحدة) التي تقدم للمواطن الأمريكى.

غير أن أكثر ما يلاحظ فى قصيدة (قلائد الشمس) أنها كتبت منذ البداية بروح رحبة، وتمنيات بأن تكون ثمرة هذا الحوار ما يؤدى إلى التفاهم فضلاً عن أن الروح التي كتبت بها طيبة للغاية، وهى تدعوهم بهذا المنطق (تحية بوجه طلق) إلى الدعوة (ندعوكم لقول الحق)، ولهذا يبدأها بعبارة هى أقرب إلى التحية النبيلة يقول:

إلى أدباء أمريكا

قرأناها رسالتكم

وقلنا ربما يخضر جذب الأرض

وتورق بيننا الأيام والأحلام

نمزج فى ضياء الفجر

نور الشعـر

ونجني من تراب الفكر

بعض التبر

نهاديكم ورود الشرق

نحييكم بوجه طلق

وندعوكم لقول الحق

وهى مقدمة أقرب إلى التحية الطيبة لتمهيد الأرض، لما سيكون فى

الاستطراد، خاصة إذا علمنا أن أولئك الكاتبين الأمريكيين فى أغلبهم من خبراء المراكز البحثية المعادية (١) والعناصر إلى تلعب دورها بإتقان فى المنظمات الصهيونية (مثل ميمرى) وغيرها من أولئك. وقع على البيان فرانسيس فوكوياما وصموئيل هنتنغتون وجيرار برادلى، وصموئيل فريدمان، ونيل جيلبرت، وتوماس كوهلر، وهارفى مانفيلد، وروبرت بوتمان، وبول فيتز.. وغيرهم. وراحوا يعرضون مواقفهم الظالمة للشرق العربى منذ ١١ سبتمبر، متعمدين الخلط بين الحرب العدوانية التى تقوم بها الولايات المتحدة وحلفائها، ضد العرب إنما هى حرب ضد "الإرهاب" الإسلامى (!!).

وهذه البداية جاءت على العكس من بداية البيان الأمريكى الذى تضمن خمسة مبادئ لا تخلو من تجن على العقيدة الإسلامية السمحة، إن البيان يبرر قيام الولايات المتحدة بالحرب، كتبرير للدفاع عن النفس ضد القوى الإرهابية، وهذا الدفاع يتخذ شكلاً أخلاقياً ويتخذ شكلاً "كونياً" على حد تعبير البيان الذى يأتى فى البداية على النحو التالى:

- وهو ما يعنى أن القتل باسم الله هو مخالف للإيمان بالله، وهو
يعد خيانة عظيمة لكونية الإيمان الدينى

*Killing in the name of God is contrary to faith in God and is the
greatest betrayal of the universality of religious faith.*

وهو ما يعنى أن الذين ذهبوا لتدمير أبراج سبتمبر، إنما ذهبوا
باسم الإسلام لتدمير القيم الكونية النبيلة هناك، وهو ما يعنى أيضاً
أنهم يعملون ضد القيم الدينية ويشكلون إرهاباً يحتم على الأمريكيين،

أن يقوموا بأى شئ للرد عليهم، في حين أن الأمر أصبح على العكس من ذلك، فالإرهابيون الحقيقيون إنما كانوا الذين خرجوا من بلادهم لتدمير البلاد الأخرى باسم الدفاع عن النفس، وهم فى الواقع يكملون (الاستراتيجية) الأمريكية التى رسمت خصيصاً للاستيلاء على المناطق المهمة فى العالم، فى عصر القطب الواحد.

ومن هنا، فإن الشاعر العربى ينطلق ليذكر هؤلاء المثقفين (بالحالة) السيئة التى نعيش فيها ونعيش فيها عبر التاريخ، فالقضية ليست هى الدفاع عن النفس ضد الإرهابيين المسلمين كما يزعم البيان، وإنما هى الاستعمار الطويل الذى رزح على صدورنا بشكل مباشر (احتلال)، أو بشكل غير مباشر (السيطرة بالمعاهدات والتهديد)، وهو ما يتعارض مع الدعوة التى يفترض الآن أنها نبيلة من أولئك المثقفين، وعلى هذا النحو، فإنه إذا كان الحوار هادئاً ومثمرًا، فيجب أن يأتى بالحقيقة التى لا يجب، وما كان يجب أن تتوه عن أولئك الغربيين من أن (السياسات الدنيئة) التى اتبعتها الحكومات الاستعمارية والليبرالية، التى راحت تقوض الواقع والحلم فى العالم العربى وتقوِّض - حتى - الحلم الذى سعيينا نحن لنعيش فيه:

أيا أذباء أمريكا...
تناسيتُمُ عذاباً راح يُصَلِّينا
تناسيتُمُ أمانينا
وما جئتمُ ونازل القهر
تُضرمُ في صحارينا
أمن ألم تذكرتم مآسينا ؟

إذن

ما مرّ من تاريخنا المجبول بالآلام

يكفيكم ويكفيّنا

وما كنّا أعاديكم

وما كنتم أعادينا

ولكن السياسات الدنيئة

ما تزال تقوِّض الحُلمَ

الذي صغناه

من آلام حاضرنّا

ومن أطياف ما ضينا

ويلاحظ القارئ المدقق هنا، أن الشاعر يتنبه لما تدعية أمريكا من القيم الحضارية والسياسية من نبذ للظلم أو الادعاء بالاهتمام بالعدالة الاجتماعية بين البشر، وعديد من القيم الأخرى وخصوصاً الديمقراطية.

وقيمة الديمقراطية من أهم القيم التي عثرنا عليها تتكرر في هذا البيان، وفي (المبادرة) التي أطلق عليها مشروع الشرق الأوسط الأكبر، وكأننا لا بد أن ننتظر الآخر ليؤكد لنا أنه إنما يقوم بالحرب، واستعمار الدول وكسر الإرادات من أجل قيمة الديمقراطية والعدالة، في حين أن مراقبة سياسة الإمبريالية الجديدة تتنافى مع هذا تماماً، إذ أن التفرقة السياسية لا تزال قائمة هناك، وفرض الديمقراطية على بلادنا بقوة السلاح، ومن الخارج إنما هو قياس غير منطقي، بين ما يريد المستعمر وما يريد الإنسان في أرض مستقلة، قارن بين هاتين العبارتين:

يقول البيان الأمريكى:

وفي ديموقراطية مثل التي عندنا، تنبع سلطة الحاكم من إرادة
محكوميه، وتستمد السياسات جذورها من قيم وأولويات المجتمع ككل.
مع أننا لا ندعي التقاط كل دوافع المعتدين وأنصارهم، فإن ما أمكن
معرفته عن حيفهم يتجاوز بعيداً كل سياسة أو مجموعة سياسات

ونقرأ مقطع الشاعر هنا منادياً أدباء أمريكا

أيا أدباء أميركا...

قرأنا

أن لا تفريق بين الناس كلهم
وآدم ملتقى الإنسان بالإنسان
وكل الخلق للديان

تنادي الأرض رسطاليس

أفلاطون أو سقراط

أليس الحكمة المثلى

امتشاق الحق مثل السيف

نبذ الظلم

نشر العدل في البلدان

ولانريد أن نحدث مقارنة هنا فكرة بفكرة، وإنما أردنا تتبع عدد من
النقاط لنصل منها إلى ما تواجهه الهوية العربية فى الشرق من
(الغرب) الإمبريالى، وهذه الحجج الفارغة التى يتذرع بها أولئك
المثقفون التابعون (لاستراتيجية) أمريكية وليسوا تابعين لضمائرهم،

بيد أن من أهم الملاحظات فى هذا البيان، وما تعرض له بإسراحيل قضية الإرهاب، فالغرب الإمبريالى مازال يعتقد، على حد قول هذا البيان أننا أصحاب الإرهاب فى حين أن الذى يصنع الإرهاب هو هذه الإمبريالية العنيفة...

ومع أن بإسراحيل يعترف بحجم الرعب الذى حدث عن هذه التفجيرات حيث وحش الإرهاب أودى بالآلاف، فضلاً عن تدمير الكثير، فلكى يطالب ويحتج فى تعبير البعض "فهو يتساءل أولاً عن مصدر الإرهاب: " ترى من علم الإرهاب؟".

وكأنه يلمح بذلك إلى الرأى القائل، بأن الدولة العظمى التى أعلنت الحرب على الإرهاب، هى التى أسهمت فى صنعه وتربيته. والأهم أنه يتساءل مستنكراً:

- بأي حق يرمى الإسلام بتهمة الإرهاب دون بقية الأديان(٢)؟

لكى يقول محتجاً بأن الدين الإسلامى هو دين الحب والإخاء والسماحة، عند من يحسن التفقه.

ثم يحتج عليهم بأنهم طالما تحدثوا عما تعرضوا له من الظلم والهول، ولكنهم تناسوا الأهوال التى عاشها العرب وما يزالون، خصوصاً فى فلسطين، حيث الوضع هو حقاً "مضحك مبك". هو مبك من هول المأساة التى يتعرض لها الشعب الفلسطينى، ولكنه مضحك بقدر ما يعبر عن مهزلة القطيع البشرى. وبإسراحيل يحتج لكى يبين بأن من يعدل لا يستخدم معايير مزدوجة تفرق بين جنس وجنس، لأن الغرب ليس أشد عاطفة من الشرق، ولأن الناس يتساوون أصلاً فى

لنستمع إلى الشاعر العربى يدعو مثقف الإمبريالية، فيقول له بهدوء ودعه: أن تعال بعيداً عن هذا الإرهاب الذى تحول وحشاً، وهو فى الواقع الإرهاب الغربى . إنه يفتح يديه ليبدأ معه من جديد، رغم سوء الفهم وعدم تبنى رأى الصائب، يقول الشاعر العربى هنا ما يحيلنا إلى قاموس من الرحمة والوعى . وقبل هذا وذاك . أن يتعامل مثقف الإمبريالية البغيض مع العربى الذى يحاصره الشر من كل مكان يقول فى الفقرة الأخيرة:

ولكنَّ الشرورَ طبيعةٌ في الناس مذ كانوا

وقلبَ الغربِ

ليس أشدَّ عاطفةً من الشرقِ

فيا أدباءَ أمريكا...

دعونا نفتح الأبوابَ بين الناس والأوطانِ

من شرقٍ إلى غربِ

ومن عرقٍ إلى عرقِ

دعونا نشعلَ الأفراحَ كالأعيادِ تبهجكم وتحيينا

دعونا مثلكم نشتمُ أزهاراً ونسرينا

دعوا كلَّ الشعوبِ توحِّدُ الآمالَ والرؤيا

فتشغلنا أمانيكُم وتشغلكم أمانينا

وما يُشجيكُم من قسوةِ الآلامِ يشجينا

وما يدميكُم من شوكِ هذي الأرضِ يدمينا

فلا خابتُ مساعيكُم ولا خابتُ مساعينا

لأن الحبَّ مذكناً تَعَهَّدناه من جيلٍ إلى جيلٍ
وأورقَ غَرْسُهُ فينا
ولن نرضى سواه فديُّنا
دينُ الإخاء إلى سلامِ النفس يدعوننا
متى يرتاح بعدَ الجورِ قاصينا ودانينا
ويكبرُ داخلَ الإنسانِ طفلٌ عن حضيضِ الشرِّ يُعلينا
تصافحنا أياديكم... تصافحكم أيادينا
نضيء مجاهلَ الدنيا أغاريداً ونزرعها بساتينا
نُشيدُ منابرَ الإبداعِ في أعلى مبانيها
لأن الأرضَ مهما طالتِ الأعمارُ تطوينا

جراح الشرق (الجراح تتجه شرقاً)

لاحظنا أن مثقفينا واعون للعروبة في الشرق بينما المثقف
الأمريكي، يعي جيداً هذا العداء التاريخي المستطير ويعي دوره
الخادم (لأستراتيجية) إمبريالية... وعلى هذا النحو، فالمثقف العربي هنا
يسعى إلى الحاكم ليدفع به إلى تضميد جرح الشمس" على حد قول
الشاعر هنا، ومن المهم أن نرى كيف يشير المثقف إلى هذا المعنى في
نهاية هذه القصيدة:

حكّام بلاد الشرق
كونوا الأنداء لكل الشعب
لنضمّد جرحَ الشمسِ
ونُشيدَ حقولَ الصَفحِ

ونجعل في الأكفاء الحل
ولنرسم بالفطنة آمالاً تستهوي الكل
نتدبر تاريخ الماضي
نتعلم من أخطاء الصمتِ الدرس
ونواري في أجداتِ المقت
بقايا البغض
نتأمل في حكامِ الغرب
قد ارتفعوا بالذات
عن اللذات
فما يتميز إنسانٌ عن إنسانٍ
إلا بالعلم وبذلِ النفس
ولذا يتساوى الحاكمُ والمحكومُ لخير السائلِ والمحرومِ
تشارك حُكم الفرد
عقولٌ تجمع بين الصدقِ وبين الرشدِ
وترفض في الإنسانِ القهرُ
يا شعب العزة والمنعة والسيف
فإذا انتصرت للحقُ القوةُ
وانتفضت أوصالُ اليأسِ تمارس حقَّ القولِ وحقَّ الفعلِ
سيعود الشرقُ الواهنُ
يرفلُ في أعياد السعدِ
وتضيءُ على قممِ التاريخِ شمسُ المجدِ

أماً إن ضاع جمالُ الحسِّ
وصار الحاضرُ والمقبلُ أصداءَ الأَمْسِ
فستحصدُنا أسيافُ الغدرِ
ونخضعُ رُغماً للمحتلِّ
من ذا سيواري سواةَ هذا العصرِ
ويمنعُ نَزْفَ الدَّمِ ؟
فإذا ما اتحدتُ أمريكا بجيوش الغربِ لتأخذ حصتها في الكسبِ
وإذا مارحنا نضربُ بين التيه وبين الرعبِ
أوجاء الفكر العاقر يلقينا في سنةِ الموتِ
فهل نجبنُ حتى نُجثَّتْ ؟
عِبرُ وزمانُ يخبرنا
عن أحداثٍ لمالكٍ قد سادتُ من قبلُ
مذ شاخ الضعفُ
وباتَ قطافُ العمرِ بريقَ الزيفِ
فمن يبتاعُ الحقَّ بسعرٍ بخسٍ
أو يقبضُ بالوسنِ الحالمِ أضغاثَ النصرِ
يا شعبَ العُربِ ويا أممَ الإسلامِ
الكَربُ الجارحُ أرَقنا
بل أطفأ سُخْفُ الهزلِ ضياءَ الجدِّ
فمزقَ منا الجسمَ وحطَّمَ فينا العظمُ
من يُرجعنا لضمائِرنا ؟

ليكون الصدقُ حصوناً منَعَتْها استنهاضُ العزمِ

يتسامى أولُّنا يتباهى آخرُنا

يتَّحد المألُ الثائرُ ضدَّ الظلمِ

ويدوس على الأتراح

وهو مايشير إلى أن الشرق العربي مازال واعيا - رغم كل التجاوزات - لقيم العدالة والحرية، وقبل هذا كله، فإن مثقفه مازال واعيا لما يريد الغرب (الإمبريالي) من الشرق، وهو ما يسعى إليه الغرب دائما، وهو ما يسعى إليه الشرق دائما وشتان بين الاثنين..

مثقف الغرب مازال تابعا فى أجهزة الدولة الإمبريالية، يسانده اليمين المحافظ والشخصيات الصهيونية الكثيرة، فى حين أن المثقف العربى هنا مازال واعيا لقيم العدالة والحرية والديموقراطية أو مازال يطمح إلى ذلك، وهو ما حاولت أن تقوله عدّة بيانات عربية، صدرت فى حينها فى أكثر من قطر عربى من شتى الفئات الفكرية، غير أن عبد الله باشراحيل راح يقوله بطريقة أخرى، بطريقة سهلة وواعية.. كيلا تهب رياح الغرب علينا بقسوة، وتظل جذور العروبة قائمة لنا وبيننا وهو ما نجح فيه الشاعر إلى حد كبير..

هوامش الفصل الرابع

- (١) مصطفى عبد الغنى، المراكز البحثية الغربية، القاهرة ج١/ج٢ .
- (٢) حاولنا أن نثبت النص مترجما مجتهدين فى هذه الترجمة قدر الإمكان ويمكن لمن يهمله الأمر العود إلى النص الأصيل للبيان بالانجليزية (كملاحق).
- (٣) جريدة المدينة ٢٠٠٢/٣/٥ مقالة على حرب.

ملاحق

قلائد الشمس الى مثقفي اميركا

نشر ستون مفكراً وأديباً أميركياً بياناً عبر الدوائر الإعلامية العربية والأجنبية موجّهاً الى المثقفين العرب والمسلمين، وإنني، كشاعر، أحببت أن أحاور البيان بهذه القصيدة .

إلى أدباء أمريكا
قرأناها رسالتكم
وقلنا ربما يخضرُ جذب الأرض
وتورق بيننا الأيام والأحلامُ
نمزج في ضياء الفجرِ
نورَ الشَّعرِ
ونجني من تراب الفكرِ
بعض التبرِ
نهاديكم ورودَ الشرقِ
نحييكم بوجهٍ طلقٍ
وندعوكم لقول الحقِّ

• • •

أيا أدباء أمريكا ...

تناسيتم عذاباً راح يُصلينا

تناسيتم أمانينا

وما جئتم وناراً القهر

تُضرمُ في صحارينا

أمن ألم تذكرتم مآسينا ؟

إذن

ما مر من تاريخنا المجهول بالآلام

يكفيكم ويكفينا

وما كنا أعاديكم

وما كنتم أعاديننا

ولكن السياسات الدنيئة

ما تزال تقوِّض الحلم

الذي صغناه

من آلام حاضرننا

ومن أطياف ما ضيننا

• • •

أيا أدباء أميركا ...

قرأنا

أن لا تفريق بين الناس كلهم

وآدم ملتقى الإنسان بالإنسان

وكل الخلق للديان

تنادي الأرض رسطاليسَ
أفلاطونَ أو سقراطُ
أليس الحكمةُ المثلى
امتشاق الحقِّ مثل السيفِ
نبذ الظلمَ
نشر العدل في البلدانُ

• • •

ويا أدباء أمريكا...
إذا ما القوةُ اخترقتُ جدارَ الضعفِ
فإن الظلمَ يستشري
ويغرز نابَهُ في القلبُ
ونقضي عمرنا دوماً بجرحِ الصمتِ
برغم حضارةِ الدنيا وما ابتكرتُ أيادي العصرِ
تَظَلُّ نوازعُ البغضاءِ تستسقي غيومَ القهرِ
ويأتي الخطبُ إثر الخطبِ
ويسفرُ عن شقاءِ الخلقِ
وجهُ الحربِ
فكيف تُحمَلُ الأديانُ ووزرَ الظلمِ ؟
كيف يُسوَّغُ البهتانُ ؟

• • •

أيا أدباء أمريكا

تُرى من علِّم الإرهاب ؟
ما الأسبابُ ، كي تُرمى بوصمته
جميعُ قبائل العربِ
وما الأسبابُ كي يُرمى به الإسلامُ
دون بقيّة الأديانِ
فمن ذا يفقه الإسلامَ
يا أدباء أمريكا ...
ليملاً نفسكم حباً
ويعرفَ جمعُكم ما جاء في القرآنُ
فكلُّ سماحةٍ تأتي من الإيمانِ
ومنه يفيضُ كلُّ الحبِّ والإحسانِ
توارثنا خلائقنا من القرآنِ
فما للضيمِ يُسكننا ثرى الأحرانِ
ويا أدباء أمريكا
أليس الخلطُ بين الحقِّ والقوةِ
وما قد قاله (نتشيه)
حول تحكُّم الإنسان بالإنسانِ
عينَ الظلم ؟
لماذا لا نقارعُ قوّةَ الأفكارِ بالأفكارِ
لا بالبطشِ والقسوةِ ؟
لماذا لا يسود العدلُ بين الناسِ ؟

لماذا لا تُوزَّعُ هذه الأرضُ
التي يجتاحها الإملاقُ والإجحافُ
خبز الحبِّ بالقسطاس ؟

• • •

أيا أدباء أمريكا ...
تعالوا لا نميِّزُ بين لون العرق والجنسِ
ونصنع من سموِّ العقلِ والنفسِ
عوالمَ ترفع الإنسانَ نحو جماله الأبهى
وتنقذُ روحَهُ من عتمةِ الحسِّ
وتعصمها من الشهوات والرَّجسِ
فنحن قلائدُ الشمسِ
ننير المقبلَ المنسي
وننقلُ جذوةَ المُتَخَيَّلِ الكونيِّ
من حدسٍ إلى حدسٍ
نثير مكامن الإبداعِ
بين اليوم والأمسِ
ويا أدباء أمريكا
هي الأحداثُ تصنعنا تجرُّبنا
لنعرف أن نفس الجرح يجمعنا
وكم دانت لنا الآمالُ حتى أصبحتْ لطموحنا مدُّنا
فما للزيفِ يخدعكم ويخدعنا

وما للعسف يحكمكم ويحكمنا

• • •

أيا أدباء أمريكا

تعالوا نهجر الشكوى

ونصنع مخرج البلوى

فلا أذكى ولا أقوى

من الحب المضمخ بالحنان

ورفعة الإنسان والتقوى

ونؤمن أن في الدنيا

جمالاً يخلب الألباب

وأفئدة تؤلف بالمحبة

سائر الأعراق والأنساب

وتنزع عن كراهية الخلائق

نابها الوحشي

أو ما يحمل المتصارعون على الفريسة

من طباع الغاب

وتلك خطيئة الأقلام والإعلام

• • •

أيا أدباء أمريكا ...

تحدثتم طويلاً عن صنوف الظلم والإفك

وأمتنا تعيش الهول تلو الهول

ويُثقلها إذا ما حاولتُ
أنْ تُكسِرَ الأغلالَ
لفحٌ من جحيمِ الحقدِ والشكِّ
فلسطين التي ترثي
دماءَ شبابها المُردِّ
لمن تشكو
وما تلاقاهُ في هذي المتاهةِ
مُضحكٌ مُبكِّ

• • •

أيا أدباءَ أمريكا
تعالوا كي نخلِّصَ هذه الدنيا
من الآفاتِ
ننتشلُ الضميرَ الحيَّ من مستنقعِ الظلمةِ
وننشئُ دولةَ العقلِ التي
نُعلي دعائمها
بما امتلكتُ من الحكمةِ
وننشئُ من ضميرِ العدلِ إنساناً
يساوي الخلقَ بالخلقِ
فلا ظلمٌ ولا جورٌ
ولا حكمٌ على الإنسانِ بالشبهاتِ
بل بالعدلِ والرفقِ

لقد قلتمُ وصدقنا
عن الرعبِ الذي أودى
بآلاف الضحايا الأبرياءِ
وصيّر الأبراجَ في نيويوركَ
أشلاءَ على أشلاءَ .
يومَ تحوّل الإرهابُ وحشاً
ضاري الأنيابِ
وامتدت يد الحمقِ
ولكنّ الشرورَ طبيعةٌ في الناسِ منذ كانوا
وقلبَ الغربِ
ليس أشدَّ عاطفةً من الشرقِ
فيا أدباءَ أمريكا ...
دعونا نفتح الأبوابَ بين الناسِ والأوطانِ
من شرقِ إلى غربِ
ومن عرقِ إلى عرقِ
دعونا نشعلَ الأفراحَ كالأعيادِ تبهجكمُ وتحيينا
دعونا مثلكمُ نشتمُ أزهاراً ونسرينا
دعوا كلَّ الشعوبِ توحّدَ الآمالَ والرؤيا
فتشغلنا أمانيكُم وتشغلكمُ أمانينا
وما يُشجيكُمُ من قسوةِ الآلامِ يشجينا
وما يدميكُمُ من شوكِ هذي الأرضِ يدمينا

فلا خابتُ مساعيكم ولا خابتُ مساعينا
لأن الحبَّ مذ كنَّا تَعَهَّدُناه من جيلٍ الى جيلٍ
وأورقَ غَرْسُهُ فينا
ولن نرضى سواه فديُننا
دينُ الإخاء الى سلامِ النفس يدعوننا
متى يرتاح بعدَ الجورِ قاصينا ودانينا
ويكبرُ داخلَ الإنسانِ طفلٌ عن حضيضِ الشرِّ يُعلينا
تصافِحُنا أياديكم... تصافِحكم أيادينا
نضيءُ مجاهلَ الدنيا أغاريداً ونزرعها بساتينا
نُشيدُ منابرَ الإبداعِ في أعلى مبانيها
لأن الأرضَ مهما طالَتِ الأعمارُ تطوينا
• • •

فيا أدباءَ أمريكا
إذا نظرتُ قلوبكمُ
الى التوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ
سوف تمجدون عقائداً سمحاً وحدثتِ الملايينا
وما زالت عهودُ الصدقِ
تسمو في مآقينا
وما زلنا نسير على صراطٍ
نبتغي فيه استقامتنا
ونجعلُ منه بوصلةً
لتهديكم وتهدينا
• • •

الجراح تتجه شرقا مشروع الشرق الأوسط

٢٠٠٤

مشروع الشرق الأوسط للإصلاح
مرسوم أمريكي خطط
أن يتغير نبض الشرق
فمن حبس الأنفاس
إلى حرية كل الناس
يقضي المرسوم
بأن تنسخ آيات القرآن
أن تتحول لغة الضاد إلى لغة الأضداد
أن يعلن كل الناس بأن الدين هو الإرهاب
أن نرضى طوعاً أو كرهاً
بالذل عقاباً
وبأن نستقبل كل جنود الغزو
بأزهار وأقاح

• • •

مشروع الشرق الأوسط للإصلاح
إبداع الفكر المتجاوز للأفكار

والرابضُ خلفِ ذيولِ الفتنةِ والفرقه
المشعلُ في أنهارِ العُربِ النارُ
تترأى من طيرِ الخفاشِ إلى طيرِ الأشباحِ
تتفننُ في تصنيعِ سمومِ الموتِ
تملأُ بالأهوالِ قلوبُ الخوفِ
لتنعمَ باستعبادِ الشرقِ
ولتطعمَ مما طابَ ولذُ
ونطعمَ نحنُ فتاتِ الخبزِ
قد ضلَّ الوعدُ خطى الميعادِ
ونحنُ مصيرُ دقِّ على الأفهامِ
أوطانُ ..
أنفالُ ..
ثرواتُ ..
يتجاذبها الأعداءُ
وحين يسود الغلُ
يكون الظلمُ أشدَّ سلاحُ
بحرُ الظلماتِ تسعَّرُ
بين الشطِّ وبين اليمِّ
بوارجِ يرسو فيها الهولُ
ودماءُ تغرقُ في أحوالِ الفقرِ
وأمریکا تتشدَّقُ حولِ حقوقِ الإنسانِ

تتلبسُ كلُّ صنوفِ الباطلِ
توهمُ عينَ الإنسانِ بسحرَ المخترعاتِ
تقتلُ كلَّ ورودِ الأرضِ على الطرقاتِ
تتوددُ وهي تُعدُّ مباغطةَ الحُمْلانِ
تختارُ خداعَ الوقتِ
وقد ضربتُ في وطنِ العُربِ خيامُ
تشربُ من آبارِ النفطِ الخامِ
ترتعُ في مدنِ الغفلةِ
والدامعةِ الثكلى
تبكي المأسورَ أو القتلى
يا طعنَتْها النجلا
جثثُ رمَدَها الغدرُ بلا مأوى
فقبورُ ضاقتُ بالأشلاءِ
وسرايا الشهداءِ الأحياءِ
تزفُ الشهداءِ الموتى
بأغاريدِ البشرى
هي ما زالت تترى
تفتحُ أبوابَ فراديسِ الآمالِ
وشهادتها المفتاحُ

• • •

مشروعُ الشرقِ الأوسطِ للإصلاحِ

تتوجس منه الأمةُ شراً
من قبل الحربِ على بغدادُ
وبرغمِ مهادنةِ الأوغادُ
العصرُ رصاصُ ونفوسُ تتصدى للعازُ
نتهجي كلَّ نذورِ الأمسِ ،
نلومُ ، ونعتبُ أيَّ عتابُ
أمريكا قد سنتُ قانونَ الغابُ
لتصبَّ الحقدَ على الإسلامِ ، على الأعرابُ
ها قد جاءتْ بدمٍ كذبِ
تلصقُ بالعربِ لظى الإرهابِ
تهدمُ بالجوِّ حضاراتِ البلدانِ
تضربُ أعناقَ الأحرارِ
تبسطُ أيديها فوق الشهواتِ
فمن يستنقذُ من يدها الأرواحُ ؟
يمنع إشعاعَ الذرَّةِ في الأرض وفي الآفاق
كي لا يصبحَ كلُّ البحرِ وكلُّ الجوِّ وكلُّ الأرضِ خرابُ
ستقاضيه الآلامُ وإن سادت دهرها
وستجني ما صنعتْ يدها
سخطاً ووبالُ
وستهزمها الأرياح

• • •

مشروعُ الشرقِ الأوسطِ للإصلاحِ
مشروعُ مصالحةِ الشعبِ مع الحكامِ
فالحبُّ وئامٌ
والعدلُ سلامٌ
والحكمةُ نورٌ في الظلماءِ
لا غربةَ في الأوطانِ
فغدٌ للفعلِ سؤالٌ
يستهدفُ إنصافَ المحكومِ من الحاكمِ
كي يثبتَ أن الحكمَ الحقُّ نصيرٌ للضعفاءِ
وبأنَّ الظلمَ براكينٌ تتفجرُ من قمعِ الآمالِ ومن ثقلِ الأحمالِ ،
فحرامٌ أن نشعلَ ثانيةَ (داحسَ والغبراءِ)
وحرامٌ أن لا نُرجِعَ للعقلِ صوابَ العقلِ ،
ونصدَّ فلولَ المكرِ
بحدِّ الفكرِ
لندراً وجهَ الحربِ
ولنبعثَ في الأميينَ كتاباً في زمنٍ وهاجٍ
يتحدثُ عن أسبابِ وأصداءِ الغاراتِ
فلمن تذرونا الريحُ ونُلقي في حُفْرِ الإهمالِ
بل كيف يُعابُ الويلُ
إذا استشرى في الأفئدةِ الحقدُ
وبعضُ راحِ يمالِي الغشَّ ؟

فسيهلكُ ذاك الحرثُ وهذا النسلُ
وستُنكرُنَا الأفراحُ

• • •

حكّامُ بلادِ الشرقِ
كونوا الأنداءَ لكلِّ الشعبِ
لنضمّدَ جرحَ الشمسِ
ونُشيدَ حقولَ الصّبحِ
ونجعلَ في الأكفَاءِ الحلَّ
ولنرسمَ بالفطنةَ آمالاً تستهوي الكلَّ
نتدبّرُ تاريخَ الماضي
نتعلّمُ من أخطاءِ الصمتِ الدرسِ
ونواري في أجداثِ المقتِ
بقايا البغضِ
نتأمّلُ في حُكّامِ الغربِ
قد ارتفعوا بالذاتِ
عن اللذاتِ
فما يتميِّزُ إنسانٌ عن إنسانٍ
إلا بالعلمِ وبذلِ النفسِ
ولذا يتساوى الحاكمُ والمحكومُ
لخير السائلِ والمحرومِ
تشاركُ حُكْمَ الفردِ

عقولُ تجمع بين الصدق وبين الرشدُ
وترفضُ في الإنسان القهرُ،
يا شعب العزة والمنعة والسيفُ
فإذا انتصرتُ للحقُّ القوةُ
وانتفضتُ أوصالُ اليأسِ تمارسُ
حقَّ القولِ وحقَّ الفعلِ
سيعود الشرقُ الواهنُ
يرفلُ في أعياد السَّعدِ
وتُضيءُ على قممِ التاريخِ شمسُ المجدِ
أما إن ضاع جمالُ الحسِّ
وصار الحاضرُ والمقبلُ أصداءَ الأمسِ
فستحصدُنا أسيافُ الغدرِ
ونخضعُ رُغمًا للمحتلِ
من ذا سيواري سوءةَ هذا العصرِ
ويمنع نزعَ الدَّمِ ؟
فإذا ما اتحدتُ أمريكا بجيوش الغربِ
لتأخذ حصتها في الكسبِ
وإذا مارحنا نضربُ بين التيه وبين الرعبِ
أوجاء الفكر العاقر يلقينا في سنة الموتِ
فهل نجبنُ حتى نُجثَّتْ ؟
عبرُ وزمانُ يخبرنا

عن أحداثٍ لمالكٍ قد سادت من قبلُ
مذ شاخ الضعفُ
وبات قطافُ العمرِ بريقَ الزيفِ
فمن يبتاع الحقَّ بسعرٍ بخسٍ
أو يقبض بالوسنِ الحالمِ أضغاثَ النصرِ
يا شعبَ العربِ ويا أممَ الإسلامِ
الكربُ الجارحُ أرقنا
بل أطفأ سُخْفُ الهزلِ ضياءَ الجدِّ
فمزقَ منا الجسمَ وحطمَ فينا العظمُ
من يرجعنا لضمائرنا ؟
ليكون الصدقُ حصوناً منعتها استنهاضُ العزمِ
يتسامى أولنا يتباهى آخرنا
يتحد الملاً الثائرُ ضدَّ الظلمِ
ويدوس على الأتراح

• • •

مشروعُ الشرقِ الأوسطِ للإصلاحِ
هو كلُّ الحبِّ وكلُّ البذلِ ونضجُ العقلِ
بلْ هدمُ سجونِ الفكرِ وفتحُ كهوفِ الرأيِ
أفلاً نتعلمُ من ويلاتِ الضيِّمِ
بأن العدلَ أميرُ الحكمِ
كي نأمن شرَّ ضواري الأنسِ

فالفجرُ القادمُ
لا يقبلُ أَعذارَ الجهلِ
وسيدفنُ في صحراءِ الليلِ رفاتَ الكِبَرِ،
ويرى الإنسانُ تباشيرَ الأصباحِ
هو ذا مشروعُ الشرقِ الأوسطِ للإصلاحِ !

• • •

What We're Fighting For: A Letter from America

"C" February 2002, Institute for American Values

Preamble

AT TIMES it becomes necessary for a nation to defend itself through force of arms. Because war is a grave matter, involving the sacrifice and taking of precious human life, conscience demands that those who would wage the war state clearly the moral reasoning behind their actions, in order to make plain to one another, and to the world community, the principles they are defending.

We affirm five fundamental truths that pertain to all people without distinction:

All human beings are born free and equal in dignity and rights.

The basic subject of society is the human person, and the legitimate role of government is to protect and help to foster the conditions for human flourishing.

Human beings naturally desire to seek the truth about life's purpose and ultimate ends.

Freedom of conscience and religious freedom are inviolable rights of the human person.

Killing in the name of God is contrary to faith in God and is the greatest betrayal of the universality of religious faith.

We fight to defend ourselves and to defend these universal principles.

What are American Values?

SINCE SEPTEMBER 11, millions of Americans have asked themselves and one another, why? Why are we the targets of these hateful attacks? Why do those who would kill us, want to kill us?

We recognize that at times our nation has acted with arrogance and ignorance toward other societies. At times our nation has pursued misguided and unjust policies. Too often we as a nation have failed to live up to our ideals. We cannot urge other societies to abide by moral principles without simultaneously admitting our own society's failure at times to abide by those same principles. We are united in our conviction -and are confident that all people of good will in the world will agree -that no appeal to the merits or demerits of specific foreign policies can ever justify, or even purport to make sense of, the mass slaughter of innocent persons.

Moreover, in a democracy such as ours, in which government derives its power from the consent of the governed, policy stems at least partly from culture, from the values and priorities of the society as a whole. Though we do not claim to possess full knowledge of the motivations of our attackers and their sympathizers, what we do know suggests that their grievances extend far beyond any one policy, or set of policies. After all, the killers of September 11 issued no particular demands; in this sense, at least, the killing was

done for its own sake. The leader of Al Qaeda described the "blessed strikes" of September 11 as blows against America, "the head of world infidelity." Clearly, then, our attackers despise not just our government, but our overall society, our entire way of living. Fundamentally, their grievance concerns not only what our leaders do, but also who we are.

SO WHO ARE WE? What do we value? For many people, including many Americans and a number of signatories to this letter, some values sometimes seen in America are unattractive and harmful. Consumerism as a way of life. The notion of freedom as no rules. The notion of the individual as self-made and utterly sovereign, owing little to others or to society. The weakening of marriage and family life. Plus an enormous entertainment and communications apparatus that relentlessly glorifies such ideas and beams them, whether they are welcome or not, into nearly every corner of the globe.

One major task facing us as Americans, important prior to September 11, is facing honestly these unattractive aspects of our society and doing all we can to change them for the better. We pledge ourselves to this effort.

At the same time, other American values -what we view as our founding ideals, and those that most define our way of life -are quite different from these, and they are much more attractive, not only to Americans, but to people everywhere in the world. Let us briefly mention four of them.

The first is the conviction that all persons possess innate

human dignity as a birthright, and that consequently each person must always be treated as an end rather than used as a means. The founders of the United States, drawing upon the natural law tradition as well as upon the fundamental religious claim that all persons are created in the image of God, affirmed as "self-evident" the idea that all persons possess equal dignity. The clearest political expression of a belief in transcendent human dignity is democracy. In the United States in recent generations, among the clearest cultural expressions of this idea has been the affirmation of the equal dignity of men and women, and of all persons regardless of race or color.

Second, and following closely from the first, is the conviction that universal moral truths (what our nation's founders called "laws of Nature and of Nature's God") exist and are accessible to all people. Some of the most eloquent expressions of our reliance upon these truths are found in our Declaration of Independence, George Washington's Farewell Address, Abraham Lincoln's Gettysburg Address and Second Inaugural Address, and Dr. Martin Luther King, Jr.'s Letter from the Birmingham Jail.

The third is the conviction that, because our individual and collective access to truth is imperfect, most disagreements about values call for civility, openness to other views, and reasonable argument in pursuit of truth.

The fourth is freedom of conscience and freedom of religion. These intrinsically connected freedoms are widely

recognized, in our own country and elsewhere, as a reflection of basic human dignity and as a precondition for other individual freedoms.

To us, what is most striking about these values is that they apply to all persons without distinction, and cannot be used to exclude anyone from recognition and respect based on the particularities of race, language, memory, or religion. That's why anyone, in principle, can become an American. And in fact, anyone does. People from everywhere in the world come to our country with what a statue in New York's harbor calls a yearning to breathe free, and soon enough, they are Americans. Historically, no other nation has forged its core identity -its constitution and other founding documents, as well as its basic self-understanding -so directly and explicitly on the basis of universal human values. To us, no other fact about this country is more important.

Some people assert that these values are not universal at all, but instead derive particularly from western, largely Christian civilization. They argue that to conceive of these values as universal is to deny the distinctiveness of other cultures. We disagree. We recognize our own civilization's achievements, but we believe that all people are created equal. We believe in the universal possibility and desirability of human freedom. We believe that certain basic moral truths are recognizable everywhere in the world. We agree with the international group of distinguished philosophers who in the late 1640 s helped to shape the United Nations Universal Declaration of Human Rights, and who concluded that a few

fundamental moral ideas are so widespread that they "may be viewed as implicit in man's nature as a member of society." In hope, and on the evidence, we agree with Dr. Martin Luther King, Jr., that the arch of the moral universe is long, but it bends toward justice, not just for the few, or the lucky, but for all people.

Looking at our own society, we acknowledge again the all too frequent gaps between our ideals and our conduct. But as Americans in a time of war and global crisis, we are also suggesting that the best of what we too casually call "American values" do not belong only to America, but are in fact the shared inheritance of humankind, and therefore a possible basis of hope for a world community based on peace and justice.

What about God?

SINCE SEPTEMBER 11, millions of Americans have asked themselves and one another, what about God? Crises of this magnitude force us to think anew about first principles. When we contemplate the horror of what has occurred, and the danger of what is likely to come, many of us ask: Is religious faith part of the solution or part of the problem?

The signatories to this letter come from diverse religious and moral traditions, including secular traditions. We are united in our belief that invoking God's authority to kill or maim human beings is immoral and is contrary to faith in God. Many of us believe that we are under God's judgment. None of us believe that God ever instructs some of us to kill

or conquer others of us. Indeed, such an attitude, whether it is called "holy war" or "crusade," not only violates basic principles of justice, but is in fact a negation of religious faith, since it turns God into an idol to be used for man's own purposes. Our own nation was once engaged in a great civil war, in which each side presumed God's aid against the other. In his Second Inaugural Address in 1865, the sixteenth president of the United States, Abraham Lincoln, put it simply: "The Almighty has his own purposes."

Those who attacked us on September 11 openly proclaim that they are engaged in holy war. Many who support or sympathize with the attackers also invoke God's name and seem to embrace the rationale of holy war. But to recognize the disaster of this way of thinking, we as Americans need only to remember our own, and western, history. Christian religious wars and Christian sectarian violence tore apart Europe for the better part of a century. In the United States, we are no strangers to those who would murder at least in part in the name of their religious faith. When it comes to this particular evil, no civilization is spotless and no religious tradition is spotless.

The human person has a basic drive to question in order to know. Evaluating, choosing, and having reasons for what we value and love are characteristically human activities. Part of this intrinsic desire to know concerns why we are born and what will happen when we die, which leads us to seek the truth about ultimate ends, including, for many people, the question of God. Some of the signatories to this letter believe

that human beings are by nature "religious" in the sense that everyone, including those who do not believe in God and do not participate in organized religion, makes choices about what is important and reflects on ultimate values. All of the signatories to this letter recognize that, across the world, religious faith and religious institutions are important bases of civil society, often producing results for society that are beneficial and healing, at times producing results that are divisive and violent.

So how can governments and societal leaders best respond to these fundamental human and social realities? One response is to outlaw or repress religion. Another possible response is to embrace an ideological secularism: a strong societal skepticism or hostility regarding religion, based on the premise that religion itself, and especially any public expression of religious conviction, is inherently problematic. A third possible response is to embrace theocracy: the belief that one religion, presumably the one true religion, should be effectively mandatory for all members of society and therefore should receive complete or significant state sponsorship and support.

We disagree with each of these responses. Legal repression radically violates civil and religious freedom and is incompatible with democratic civil society. Although ideological secularism may have increased in our society in recent generations, we disagree with it because it would deny the public legitimacy of an important part of civil society as well as seek to suppress or deny the existence of what is at

least arguably an important dimension of personhood itself. Although theocracy has been present in western (though not U.S.) history, we disagree with it for both social and theological reasons. Socially, governmental establishment of a particular religion can conflict with the principle of religious freedom, a fundamental human right. In addition, government control of religion can cause or exacerbate religious conflicts and, perhaps even more importantly, can threaten the vitality and authenticity of religious institutions. Theologically, even for those who are firmly convinced of the truth of their faith, the coercion of others in matters of religious conscience is ultimately a violation of religion itself, since it robs those other persons of the right to respond freely and in dignity to the Creator's invitation.

At its best, the United States seeks to be a society in which faith and freedom can go together, each elevating the other. We have a secular state -our government officials are not simultaneously religious officials -but we are by far the western world's most religious society. We are a nation that deeply respects religious freedom and diversity, including the rights of nonbelievers, but one whose citizens recite a Pledge of Allegiance to "one nation, under God," and one that proclaims in many of its courtrooms and inscribes on each of its coins the motto, "In God We Trust." Politically, our separation of church and state seeks to keep politics within its proper sphere, in part by limiting the state's power to control religion, and in part by causing government itself to draw legitimacy from, and operate under, a larger moral canopy that is not of its own making. Spiritually, our separation of

church and state permits religion to be religion, by detaching it from the coercive power of government. In short, we seek to separate church and state for the protection and proper vitality of both.

For Americans of religious faith, the challenge of embracing religious truth and religious freedom has often been difficult. The matter, moreover, is never settled. Ours is a social and constitutional arrangement that almost by definition requires constant deliberation, debate, adjustment, and compromise. It is also helped by, and helps to produce, a certain character or temperament, such that religious believers who strongly embrace the truth of their faith also, not as a compromise with that truth but as an aspect of it, respect those who take a different path.

What will help to reduce religiously based mistrust, hatred, and violence in the 21st century? There are many important answers to this question, of course, but here, we hope, is one: Deepening and renewing our appreciation of religion by recognizing religious freedom as a fundamental right of all people in every nation.

A Just War?

WE RECOGNIZE that all war is terrible, representative finally of human political failure. We also know that the line separating good and evil does not run between one society and another, much less between one religion and another; ultimately, that line runs through the middle of every human heart. Finally, those of us -Jews, Christians, Muslims, and

others -who are people of faith recognize our responsibility, stated in our holy scriptures, to love mercy and to do all in our power to prevent war and live in peace.

Yet reason and careful moral reflection also teach us that there are times when the first and most important reply to evil is to stop it. There are times when waging war is not only morally permitted, but morally necessary, as a response to calamitous acts of violence, hatred, and injustice. This is one of those times.

The idea of a "just war" is broadly based, with roots in many of the world's diverse religious and secular moral traditions. Jewish, Christian, and Muslim teachings, for example, all contain serious reflections on the definition of a just war. To be sure, some people, often in the name of realism, insist that war is essentially a realm of self-interest and necessity, making most attempts at moral analysis irrelevant. We disagree. Moral inarticulacy in the face of war is itself a moral stance -one that rejects the possibility of reason, accepts normlessness in international affairs, and capitulates to cynicism. To seek to apply objective moral reasoning to war is to defend the possibility of civil society and a world community based on justice.

The principles of just war teach us that wars of aggression and aggrandizement are never acceptable. Wars may not legitimately be fought for national glory, to avenge past wrongs, for territorial gain, or for any other non-defensive purpose.

The primary moral justification for war is to protect the innocent from certain harm. Augustine, whose early 4th century book, *The City of God*, is a seminal contribution to just war thinking, argues (echoing Socrates) that it is better for the Christian as an individual to suffer harm rather than to commit it. But is the morally responsible person also required, or even permitted, to make for other innocent persons a commitment to non-self-defense? For Augustine, and for the broader just war tradition, the answer is no. If one has compelling evidence that innocent people who are in no position to protect themselves will be grievously harmed unless coercive force is used to stop an aggressor, then the moral principle of love of neighbor calls us to the use of force.

Wars may not legitimately be fought against dangers that are small, questionable, or of uncertain consequence, or against dangers that might plausibly be mitigated solely through negotiation, appeals to reason, persuasion from third parties, or other nonviolent means. But if the danger to innocent life is real and certain, and especially if the aggressor is motivated by implacable hostility -if the end he seeks is not your willingness to negotiate or comply, but rather your destruction -then a resort to proportionate force is morally justified.

A just war can only be fought by a legitimate authority with responsibility for public order. Violence that is free-lance, opportunistic, or individualistic is never morally acceptable.

A just war can only be waged against persons who are combatants. Just war authorities from across history and around the world -whether they be Muslim, Jewish, Christian, from other faith traditions, or secular -consistently teach us that noncombatants are immune from deliberate attack. Thus, killing civilians for revenge, or even as a means of deterring aggression from people who sympathize with them, is morally wrong. Although in some circumstances, and within strict limits, it can be morally justifiable to undertake military actions that may result in the unintended but foreseeable death or injury of some noncombatants, it is not morally acceptable to make the killing of noncombatants the operational objective of a military action.

These and other just war principles teach us that, whenever human beings contemplate or wage war, it is both possible and necessary to affirm the sanctity of human life and embrace the principle of equal human dignity. These principles strive to preserve and reflect, even in the tragic activity of war, the fundamental moral truth that "others" - those who are strangers to us, those who differ from us in race or language, those whose religions we may believe to be untrue -have the same right to life that we do, and the same human dignity and human rights that we do.

ON SEPTEMBER 11, 2001, a group of individuals deliberately attacked the United States, using hijacked airplanes as weapons with which to kill in less than two hours over 3,000 of our citizens in New York City, southwestern Pennsylvania, and Washington, D.C. Overwhelmingly, those

who died on September 11 were civilians, not combatants, and were not known at all, except as Americans, by those who killed them. Those who died on the morning of September 11 were killed unlawfully, wantonly, and with premeditated malice -a kind of killing that, in the name of precision, can only be described as murder. Those murdered included people from all races, many ethnicities, most major religions. They included dishwashers and corporate executives.

The individuals who committed these acts of war did not act alone, or without support, or for unknown reasons. They were members of an international Islamicist network, active in as many as 40 countries, now known to the world as Al Qaeda. This group, in turn, constitutes but one arm of a larger radical Islamicist movement, growing for decades and in some instances tolerated and even supported by governments, that openly professes its desire and increasingly demonstrates its ability to use murder to advance its objectives.

We use the terms "Islam" and "Islamic" to refer to one of the world's great religions, with about 1.2 billion adherents, including several million U.S. citizens, some of whom were murdered on September 11. It ought to go without saying -but we say it here once, clearly -that the great majority of the world's Muslims, guided in large measure by the teachings of the Qur'an, are decent, faithful, and peaceful. We use the terms "Islamicism" and "radical Islamicist" to refer to the violent, extremist, and radically intolerant religious-political movement that now threatens the world, including the Muslim world.

This radical, violent movement opposes not only certain U.S. and western policies -some signatories to this letter also oppose some of those policies -but also a foundational principle of the modern world, religious tolerance, as well as those fundamental human rights, in particular freedom of conscience and religion, that are enshrined in the United Nations Universal Declaration of Human Rights, and that must be the basis of any civilization oriented to human flourishing, justice, and peace.

This extremist movement claims to speak for Islam, but betrays fundamental Islamic principles. Islam sets its face against moral atrocities. For example, reflecting the teaching of the Qur'an and the example of the Prophet, Muslim scholars through the centuries have taught that struggle in the path of God (i.e., jihad) forbids the deliberate killing of noncombatants, and requires that military action be undertaken only at the behest of legitimate public authorities. They remind us forcefully that Islam, no less than Christianity, Judaism and other religions, is threatened and potentially degraded by these profaners who invoke God's name to kill indiscriminately.

We recognize that movements claiming the mantle of religion also have complex political, social, and demographic dimensions, to which due attention must be paid. At the same time, philosophy matters, and the animating philosophy of this radical Islamicist movement, in its contempt for human life, and by viewing the world as a life-and-death struggle between believers and unbelievers (whether non-radical

Muslims, Jews, Christians, Hindus, or others), clearly denies the equal dignity of all persons and, in doing so, betrays religion and rejects the very foundation of civilized life and the possibility of peace among nations.

Most seriously of all, the mass murders of September 11 demonstrated, arguably for the first time, that this movement now possesses not only the openly stated desire, but also the capacity and expertise -including possible access to, and willingness to use, chemical, biological and nuclear weapons -to wreak massive, horrific devastation on its intended targets.

Those who slaughtered more than 3,000 persons on September 11 and who, by their own admission, want nothing more than to do it again, constitute a clear and present danger to all people of good will everywhere in the world, not just the United States. Such acts are a pure example of naked aggression against innocent human life, a world-threatening evil that clearly requires the use of force to remove it.

Organized killers with global reach now threaten all of us. In the name of universal human morality, and fully conscious of the restrictions and requirements of a just war, we support our government's, and our society's, decision to use force of arms against them.

Conclusion

WE PLEDGE TO DO all we can to guard against the harmful temptations -especially those of arrogance and

jingoism -to which nations at war so often seem to yield. At the same time, with one voice we say solemnly that it is crucial for our nation and its allies to win this war. We fight to defend ourselves, but we also believe that we fight to defend those universal principles of human rights and human dignity that are the best hope for humankind.

One day, this war will end. When it does -and in some respects even before it ends -the great task of conciliation awaits us. We hope that this war, by stopping an unmitigated global evil, can increase the possibility of a world community based on justice. But we know that only the peacemakers among us in every society can ensure that this war will not have been in vain.

We wish especially to reach out to our brothers and sisters in Muslim societies. We say to you forthrightly: We are not enemies, but friends. We must not be enemies. We have so much in common. There is so much that we must do together. Your human dignity, no less than ours -your rights and opportunities for a good life, no less than ours -are what we believe we're fighting for. We know that, for some of you, mistrust of us is high, and we know that we Americans are partly responsible for that mistrust. But we must not be enemies. In hope, we wish to join with you and all people of good will to build a just and lasting peace.

Signatories

Affiliations are listed for identification purposes only. The signatories do not, by issuing this statement, intend

collectively either to endorse or condemn specific future military tactics or strategies that may be pursued during this war. To become a signatory, please use this form.

Enola Aird

Director, The Motherhood Project; Council on Civil Society

John Atlas

President, National Housing Institute; Executive Director, Passaic County Legal Aid Society

Jay Belsky

Professor and Director, Institute for the Study of Children, Families and Social Issues, Birkbeck University of London

David Blankenhorn

President, Institute for American Values

David Bosworth

University of Washington

R. Maurice Boyd

Minister, The City Church, New York

Gerard V. Bradley

Professor of Law, University of Notre Dame

Margaret F. Brinig

Edward A. Howry Distinguished Professor, University of
Iowa College of Law

Allan Carlson

President, The Howard Center for Family, Religion, and
Society

Khalid Dur?n

Editor, TransIslam Magazine

Paul Ekman

Professor of Psychology, University of California, San
Francisco

Jean Bethke Elshtain

Laura Spelman Rockefeller Professor of Social and
Political Ethics, University of Chicago Divinity School

Amitai Etzioni

University Professor, The George Washington University

Hillel Fradkin

President, Ethics and Public Policy Center

Samuel G. Freedman

Professor at the Columbia University Graduate School of
Journalism

Francis Fukuyama

Bernard Schwartz Professor of International Political Economy, Johns Hopkins University

William A. Galston

Professor at the School of Public Affairs, University of Maryland; Director, Institute for Philosophy and Public Policy

Claire Gaudiani

Senior research scholar, Yale Law School and former president, Connecticut College

Robert P. George

McCormick Professor of Jurisprudence and Professor of Politics, Princeton University

Neil Gilbert

Professor at the School of Social Welfare, University of California, Berkeley

Mary Ann Glendon

Learned Hand Professor of Law, Harvard University Law School

Norval D. Glenn

Ashbel Smith Professor of Sociology and Stiles Professor of American Studies, University of Texas at Austin

Os Guinness

Senior Fellow, Trinity Forum

David Gutmann

Professor Emeritus of Psychiatry and Education,
Northwestern University

Kevin J. "Seamus" Hasson

President, Becket Fund for Religious Liberty

Sylvia Ann Hewlett

Chair, National Parenting Association

James Davison Hunter

William R. Kenan, Jr., Professor of Sociology and
Religious Studies and Executive Director, Center on Religion
and Democracy, University of Virginia

Samuel Huntington

Albert J. Weatherhead, III, University Professor, Harvard
University

Byron Johnson

Director and Distinguished Senior Fellow, Center for
Research on Religion and Urban Civil Society, University of
Pennsylvania

James Turner Johnson

Professor, Department of Religion, Rutgers University

John Kelsay

Richard L. Rubenstein Professor of Religion, Florida State University

Diane Knippers

President, Institute on Religion and Democracy

Thomas C. Kohler

Professor of Law, Boston College Law School

Glenn C. Loury

Professor of Economics and Director, Institute on Race and Social Division, Boston University

Harvey C. Mansfield

William R. Kenan, Jr., Professor of Government, Harvard University

Will Marshall

President, Progressive Policy Institute

Richard J. Mouw

President, Fuller Theological Seminary

Daniel Patrick Moynihan

University Professor, Maxwell School of Citizenship and Public Affairs, Syracuse University

John E. Murray, Jr.

Chancellor and Professor of Law, Duquesne University

Michael Novak

George Frederick Jewett Chair in Religion and Public
Policy, American Enterprise Institute

Rev. Val J. Peter

Executive Director, Boys and Girls Town

David Popenoe

Professor of Sociology and Co-Director of the National
Marriage Project, Rutgers University

Robert D. Putnam

Peter and Isabel Malkin Professor of Public Policy at the
Kennedy School of Government, Harvard University

Gloria G. Rodriguez

Founder and President, AVANCE, Inc.

Robert Royal

President, Faith & Reason Institute

Nina Shea

Director, Freedom's House's Center for Religious Freedom

Fred Siegel

Professor of History, The Cooper Union

Theda Skocpol

Victor S. Thomas Professor of Government and
Sociology, Harvard University

Katherine Shaw Spaht

Jules and Frances Landry Professor of Law, Louisiana
State University Law Center

Max L. Stackhouse

Professor of Christian Ethics and Director, Project on
Public Theology, Princeton Theological Seminary

William Tell, Jr.

The William and Karen Tell Foundation

Maris A. Vinovskis

Bentley Professor of History and Professor of Public
Policy, University of Michigan

Paul C. Vitz

Professor of Psychology, New York University

Michael Walzer

Professor at the School of Social Science, Institute for
Advanced Study

George Weigel

Senior Fellow, Ethics and Public Policy Center

Charles Wilson

Director, Center for the Study of Southern Culture,
University of Mississippi

James Q. Wilson

Collins Professor of Management and Public Policy
Emeritus, UCLA

John Witte, Jr.

Jonas Robitscher Professor of Law and Ethics and
Director, Law and Religion Program, Emory University Law
School

Christopher Wolfe

Professor of Political Science, Marquette University

Daniel Yankelovich

President, Public Agenda

Additional Signatories

Endnotes

Preamble

human beings are born free: From the United Nations
Universal Declaration of Human Rights, Article 1

basic subject of society: A Call to Civil Society)New

York: Institute for American Values, 1998), 16; Aristotle, Politics VII, 1-2.

Human beings naturally desire to seek the truth: Aristotle, Metaphysics, 1-1; John Paul II, Fides et Ratio, 25 (Vatican City, 1998).

Religious freedom: United Nations Universal Declaration of Human Rights, Articles 18-19.

Killing in the name of God: Bosphorus Declaration (Istanbul, Turkey, February 9, 1994) Berne Declaration (Wolfsberg/Zurich, Switzerland, November 26, 1992); and John Paul II, Papal Message for World Day of Peace, Articles 6-7 (Vatican City, January 1, 2002).

What are American Values?

"the head of world infidelity": "Excerpt: Bin Laden Tape," Washington Post, December 27, 2001.

briefly mention four of them: See A Call to Civil Society (New York: Institute for American Values, 1998).

widely recognized...as a precondition for other individual freedoms: See John Witte Jr. and M. Christian Green, "The American Constitutional Experiment in Religious Human Rights: The Perennial Search for Principles," in Johan D. van der Vyver and John Witte, Jr. (eds.), Religious Human Rights in Global Perspective, vol. 2 (The Hague: Martinus Nijhoff Publishers, 1996). See also Harold J. Berman, Law and Revolution: The Formation of the Western Legal Tradition

)Cambridge, MA: Harvard University Press, 1983)and Michael J. Perry, *The Idea of Human Rights: Four Inquiries* (New York: Oxford University Press, 1998).

deny the distinctiveness of other cultures: Some people make this point as a way of condemning those "other" cultures that are presumably too inferior, or too enthralled by false beliefs, to appreciate what we in this letter are calling universal human values; others make this point as a way of endorsing (usually one of) those cultures that are presumably indifferent to these values. We disagree with both versions of this point.

implicit in man's nature as a member of society: Richard McKeon, "The Philosophic Bases and Material Circumstances of the Rights of Man," in *Human Rights: Comments and Interpretations* (London: Wingate, 1949), 45.

arch of the moral universe is long, but it bends toward justice: Martin Luther King, Jr., "Where Do We Go From Here?", in James M. Washington (ed.), *The Essential Writings and Speeches of Martin Luther King, Jr.*)New York: HarperCollins, 1986), 245.

What about God?

an idol to be used for man's own purposes: John Paul II, Papal Message for World Day of Peace, Article 6 (Vatican City, January 1, 2002).

no religious tradition is spotless: Intra-Christian examples of holy war or crusade emerged with particular force in

whereas the churches and synagogues act as a source, but not the safeguard, of faiths for freedom . . . The result is neither a naked public square where all religion is excluded, nor a sacred public square with any religion established or semi-established. The result, rather, is a civil public square in which citizens of all religious faiths, or none, engage one another in the continuing democratic discourse." See James Davison Hunter and Os Guinness (eds.), *Articles of Faith, Articles of Peace: The Religious Liberty Clauses and the American Public Philosophy* (Washington, D.C.: The Brookings Institution, 1990), 140.

moral canopy that is not of its own making: *A Call to Civil Society* (New York: Institute for American Values, 1998): 13.

A Just War?

middle of every human heart: see Alexander Solzhenitzyn, *The Gulag Archipelago*, vol. I (New York: Harper and Row, 1974), 168.

diverse religious and secular moral traditions: See Jean Bethke Elshtain (ed.), *Just War Theory* (Oxford: Blackwell, 1992); Elshtain, Stanley Hauerwas, and James Turner Johnson, *Pew Forum on Religion and Public Life Conference on "Just War Tradition and the New War on Terrorism"* (<http://pewforum.org/events/1005/>); James Turner Johnson, *Ideology, Reason, and the Limitation of War: Religious and Secular Concepts 1200 - 1740* (Princeton: Princeton University Press, 1975); Johnson, *Just War Tradition and the Restraint of War: A Moral and Historical Inquiry* (Princeton:

Princeton University Press, 1981); Johnson, *The Quest for Peace: Three Moral Traditions in Western Cultural History* (Princeton: Princeton University Press, 1987); Johnson, *Morality and Contemporary Warfare* (New Haven: Yale University Press, 1999); Johnson and John Kelsay (eds.), *Cross, Crescent, and Sword: The Justification and Limitation of War in Western and Islamic Tradition* (New York: Greenwood Press, 1990); Majid Khadduri, *War and Peace in the Law of Islam* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1955); John Kelsay and James Turner Johnson (eds.), *Just War and Jihad: Historical and Theoretical Perspectives on War and Peace in Western and Islamic Tradition* (New York: Greenwood Press, 1991); Terry Nardin (ed.), *The Ethics of War and Peace: Religious and Secular Perspectives* (Princeton: Princeton University Press, 1996); William V. O'Brien, *The Conduct of War and Limited War* (New York: Praeger, 1998); Rudolf Peters, *Jihad in Classical and Modern Islam* (Princeton: Markus Wiener, 1996); Paul Ramsey, *Speak Up for Just War or Pacifism* (University Park, PA: Pennsylvania State University Press, 1988); Michael Walzer, *Just and Unjust Wars* (New York: Basic Books, 1997); and Richard Wasserstrom (ed.), *War and Morality* (Belmont, CA: Wadsworth, 1970).

attempts at moral analysis irrelevant: The Latin axiom is: *Inter arma silent leges* (In times of war the law is silent). Classical exemplars of this perspective include Thucydides, Niccolo Machiavelli and Thomas Hobbes; for a more recent treatment, see Kenneth Waltz, *Man, the State and War*

)Princeton: Princeton University Press, 1987). For a sensitive but critical survey of the contribution of this school of thought to international theory, see Jack Donnelly, *Realism and International Relations* (Cambridge: Cambridge University Press, 2000).

disagree: Intellectual and moral approaches to war as a human phenomenon can generally be divided into four schools of thought. The first can be called realism: the belief that war is basically a matter of power, self-interest, necessity, and survival, thereby rendering abstract moral analysis largely beside the point. The second can be called holy war: the belief that God can authorize the coercion and killing of nonbelievers, or that a particular secular ideology of ultimate concern can authorize the coercion and killing of nonbelievers. The third can be called pacifism: the belief that all war is intrinsically immoral. And the fourth is typically called just war: the belief that universal moral reasoning, or what some would call natural moral law, can and should be applied to the activity of war. The signatories to this letter largely disagree with the first school of thought. We unequivocally reject the second school of thought, regardless of the form it takes, or whether it springs from and purports to support our own society ("our side") or the side of those who wish us ill. Some of the signatories have much respect for the third school of thought (particularly its insistence that non-violence does not mean retreat or passivity or declining to stand for justice; quite the opposite), even as we respectfully, and with some degree of fear and trembling,

differ from it. As a group we seek largely to embrace and build upon the fourth school of thought.

(*echoing Socrates*): Socrates' judgment that it is better to suffer evil rather than to do it is conveyed to us by Plato in the Apology (32-c to 32-e) and constitutes a key moment in moral philosophy.

might plausibly be mitigated solely through...non-violent means: Some people suggest that the "last resort" requirement of just war theory—in essence, the requirement to explore all other reasonable and plausible alternatives to the use of force—is not satisfied until the resort to arms has been approved by a recognized international body, such as the United Nations. This proposition is problematic. First, it is novel; historically, approval by an international body has not been viewed by just war theorists as a just cause requirement. Second, it is quite debatable whether an international body such as the U.N. is in a position to be the best final judge of when, and under what conditions, a particular resort to arms is justified; or whether the attempt by that body to make and enforce such judgments would inevitably compromise its primary mission of humanitarian work. According to one observer, a former U.N. Assistant Secretary-General, transforming the U.N. into "a pale imitation of a state" in order to "manage the use of force" internationally "may well be a suicidal embrace." See Giandomenico Picco, "The U.N. and the Use of Force," *Foreign Affairs* 73 (1994): 15. See also Thomas G. Weis, David P. Forsythe, and Roger A. Coate, *United Nations and Changing World Politics* (Boulder, CO: Westview

Press,2001), 104-106; and John Gerard Ruggie, *The United Nations and the Collective Use of Force: Whither? Or Whether?* (New York: United Nations Association of the USA, 1996).

Violence that is free-lance...is never morally acceptable:
In just war theory, the main goal of the legitimate authority requirement is to prevent the anarchy of private warfare and warlords - an anarchy that exists today in some parts of the world, and of which the attackers of September 11 are representative embodiments. The legitimate authority requirement does not, on the other hand, for several reasons, apply clearly or directly to wars of national independence or succession. First, these latter types of conflict occur within a state, not internationally. Moreover, in many such conflicts, the question of public legitimacy is exactly what is being contested. For example, in the war for independence that resulted in the founding of the United States, just war analysts frequently point out that the rebelling colonies themselves constituted a legitimate public authority, and further that the colonies had reasonably concluded that the British government had, in the words of our Declaration of Independence, become "destructive of these ends" of legitimate government, and therefore itself had ceased to function as a competent public authority. Indeed, even in cases in which those waging war do not in any plain sense constitute a currently functioning public authority -for example, the "Warsaw Ghetto Uprising" of Polish Jews in 1943 against the Nazi occupation -the legitimate authority

requirement of just war theory does not morally invalidate the resort to arms by those resisting oppression by seeking to overthrow illegitimate authority.

other just war principles: For example, just war principles often insist that legitimate warfare must be motivated by the intention of enhancing the likelihood of peace and reducing the likelihood of violence and destruction; that it must be proportionate, such that the social goods that would result from victory in war discernably outweigh the evils that will attend the war; that it must contain the probability of success, such that lives are not taken and sacrificed in futile causes; and that it must pass the test of comparative justice, such that the human goods being defended are important enough, and gravely enough in danger, to outweigh what many just war theorists view as the standing moral presumption against war. This letter focuses largely on principles of justice in declaring war (in the terminology employed by many Christian just war thinkers, *jus ad bellum*) and in waging war (*jus in bello*). Other principles focus on justice in settling the war and restoring conditions of peace (*jus post bellum*). See Jean Bethke Elshtain (ed.), *Just War Theory* (Oxford: Blackwell, 1992); U.S. Conference of Catholic Bishops, *The Challenge of Peace: God's Promise and Our Response* (Washington, D.C.: United States Catholic Conference, 1992); and other sources cited above.

over 3,000 of our citizens: As of January 4, 2002, official estimates were that 3, 119 persons had been killed by the September 11 attackers, including 2,895 in New York, 184 in

Washington, and 40 in Pennsylvania. Although this letter refers to "our citizens," included among those murdered on September 11 were many citizens of other countries who were living in the U.S. at the time of the attack. "Dead and Missing," New York Times, January 8, 2002 .

use murder to advance its objectives: In addition to the murders of September 11, members of radical Islamicist organizations are apparently responsible for: the April 18, 1983 bombing of the U.S. Embassy in Beirut, killing 63 persons and injuring 120; the October 23, 1983 bombings of U.S. Marine and French paratroop barracks in Beirut, killing 300 persons; the December 21, 1988 bombing of U.S. Pan Am Flight 103, killing 259 persons; the February 26, 1993 bombing of the World Trade Center in New York City, killing six persons and injuring 1000; the June 25, 1996 bombing outside the Khobar Towers U.S. military barracks in Dhahran, Saudi Arabia, killing U.S. soldiers and wounding 39; the August 7, 1998 bombing of U.S. embassies in Nairobi, Kenya, and Dar es Salaam, Tanzania, killing 224 persons and injuring more than 5,000 and the October 12, 2000 bombing of the USS *Cole* in Aden, Yemen, killing 17 U.S. sailors and wounding 39. This list is incomplete. (See Significant Terrorist Incidents 1961-2001 (Washington, D.C.: U.S. Department of State, Bureau of Public Affairs, October 31, 2001). In addition, members of organizations comprising this movement are also responsible for numerous failed attempts at mass murder, both in the U.S. and in other countries, including the attempt to bomb the United Nations and the

Lincoln and Holland Tunnels in New York in 1993 and the attempt to bomb the Los Angeles International Airport on New Year's Eve 2000.

struggle in the path of God (i.e., jihad) forbids: The relationship between the jihad and just war traditions is complex. Premodern jihad and just war perspectives overlapped in important ways. Both could legitimate wars aimed at advancing religion, and both sought clearly to disassociate such wars from wars involving indiscriminate or disproportionate tactics. In the modern era, jihad has largely retained its confessional component -that is, its aim of protecting and propagating Islam as a religion. The confessional dimension of jihad thinking in turn seems to be closely linked to the view of the state widely held by Muslim authorities -a view that envisions little or no separation of religion from the state. By contrast, modern Christian thinking on just war has tended to downplay its confessional elements (few Christian theologians today emphasize the value of "crusade"), replacing them with more religiously neutral arguments about human rights and shared moral norms, or what some Christian and other thinkers term "natural moral law." Some Muslim scholars today seek, in the case of jihad, more fully to recover the sense of the term as "exertion" or "striving for good" in the service of God, thereby similarly downplaying its confessional elements and emphasizing, for our increasingly plural and interdependent world, the term's more universal dimensions and applications. For example, see Sohail M. Hashmi, "Interpreting the Islamic Ethics of War and Peace," in Terry Nardin (ed.), *The Ethics*

of War and Peace: Religious and Secular Perspectives (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1996), 146-166; and Hilmi Zawati, *Is Jihad a Just War? War, Peace, and Human Rights under Islamic and Public International Law* (Lewiston, NY: Edwin Mellen, 2001).

Muslim scholars...remind us forcefully: For example, Muslim scholars affiliated with the Muslim World League, meeting in Mecca, 'recently reaffirmed that jihad strictly prohibits "the killing of noncombatants" and attacks against "installations, sites and buildings not related to the fighting." See "Muslim scholars define 'terrorism' as opposed to legitimate jihad," Middle East News Online [www.middleeastwire.com], posted January 14, 2002. See also Bassam Tibi, "War and Peace in Islam," in Terry Nardin (ed.), *The Ethics of War and Peace: Religious and Secular Perspectives* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1996), 128-145.

devastation on its intended targets: The historian Eric Hobsbawm, in his study of the 20th century, published in 1995, warns us in particular, as we confront the new millennium, of the emerging crisis of "non-state terrorism," made possible by the growing "privatization of the means of destruction," such that organized groups, operating at least to some degree independently of public authorities, are increasingly willing and able to perpetrate "violence and wreckage anywhere on the globe." Eric Hobsbawm, *Age of Extremes: The Short Twentieth Century 1914-1991* (London: Abacus, 1995), 560.

Conclusion

but friends. We must not be enemies: From Abraham Lincoln, First Inaugural Address, March 1861.

ISBN:1-931764-02-6

For information or additional copies, contact:

Institute for American Values

1841 Broadway, Suite 211

New York, NY 10023

Tel: (212) 264-3942

Fax: (212) 541-6665

Email: info@americanvalues.org

Website: www.americanvalues.org

The signatories wish to thank Dan Cere of McGill University in Montreal for research and editorial assistance.

Sign What We're Fighting For | Press | Correspondence
with Germans |

Correspondence with Saudis | U.S. Criticism

السيرة الذاتية والعملية والمؤلفات

أولاً: السيرة الذاتية والعملية

الإسم : د. مصطفى عبد الغنى

من مواليد القاهرة

- ليسانس الآداب / جامعة عين شمس ١٩٧٤ .

● ماجستير فى التاريخ الحديث ١٩٨١ .

● دكتوراه فى فلسفة التاريخ الحديث ١٩٨٨ .

● رئيس القسم الثقافى (جريدة الأهرام) والأهرام الدولى والطبعة

العربية .

● رئيس القسم الادبى (جريدة الأهرام) .

● كاتب .

● ناقد أدبى .

● ناقد ثقافى .

● مؤرخ .

عضو العديد من المؤسسات الثقافية، منها :

● عضو لجنة الدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى للثقافة

● عضو إتحاد الكتاب

● عضو الجمعية التاريخية

- عضو مجلس ادارة اتحاد الكتاب
- (رئيس لجنة العلاقات العربية) .
- عضو جمعية النقد الأدبى .
- مستشار سابق لمجلة (بريزم) التى تصدر بأكثر من لغة عن وزارة الثقافة .
- اختارته دار الوثائق عضوا فى لجنة الإشراف على تراث عميد الأدب العربى ، الدكتور طه حسين .
- فى فترة مبكرة من حياته قرأ الكثير من كتب التراث (الشعر بوجه خاص) .
- بالإضافة إلى الإصدارات الحديثة المؤلفة والمترجمة.
- أجاد اللغة الفرنسية ، لغته الأولى وقرأ بها الأدب و الفكر الغربيين .
- قضى أكثر من سبع سنوات فى الجيش المصرى فى الفترة من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٣ حيث شارك فى حرب الإستنزاف وأصيب فيها لأكثر من مرة .
- عاد بعدها إلى الجامعة المصرية وواصل دراساته العليا حتى حصل على درجة الدكتوراه .
- جسد مشروعه (الفكرى) فى العديد من المجالات ، فكتب فى الدراسات الادبية والنقد الادبى والفكر السياسى و التاريخ والسياسة والتراجم و الدراسات المقارنة والإبداع المسرحى وادب الرحلات والترجمة والسيرة الذاتية .

الجدير بالذكر هنا انه يواصل مشروعه لكتابة تاريخ وتطور اتجاهات النقد العربى فى العصر الحديث ، وقد صدر من هذا المشروع الجزء الاول بعنوان :

- (اتجاهات النقد العربى الحديث) من الهيئة العامة للكتاب .

● حصل على درجة الماجستير بأطروحة عن :

" طه حسين ودوره السياسى ١٩٤٥ - ١٩٧٠/٠ "

● حصل على درجة الدكتوراه فى فلسفة الآداب ، فى فرع التاريخ

الحديث و المعاصر . وكان عنوان أطروحته للدكتوراه :

- "المثقفون وعبد الناصر ١٩٤٥ - ١٩٦٨" .

شارك فى العديد من المؤتمرات و الندوات ، منها :

● مؤتمر حوار الحضارات - برعاية وزارة التعليم العالى و جامعة

عين شمس - مصر ٢٠٠٢ .

● المشاركة فى المؤتمر الأول للمثقفين الذى عقدته مكتبة

الإسكندرية - وعلى مدار أكثر من دورة من دورات المؤتمر:

دورتى : ٢٠٠١ ، ٢٠٠٢

● شارك فى عدد من المؤتمرات المهمة التى عقدها المجلس الأعلى

للثقافة ، منها :

● مؤتمر العولمة والثقافة العربية .

- مؤتمر طه حسين والثقافة لعربية .
- المؤتمر الخاص بالإحتفالية الكبرى بمناسبة مرور ٥٠ عاما على ثورة يوليو تحت رعاية وزارة الثقافة ٢٠٠٢ وإلقاء بحث بعنوان : " القانون و الثورة : عبد الناصر و السنهورى " .
- شارك فى مؤتمر : " طه حسين " الذى نظمته جامعة المنيا .
- شارك فى مؤتمر لجنة الفلسفة بالمجلس الأعلى للثقافة عن جمال الدين الأفغانى ببحث بعنوان : " الأفغانى : إعادة النظر فى دوره " .
- شارك فى المؤتمر الذى أقامه المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى أسبانيا حول ذكرى طه حسين ، حول : " المؤثرات الغربية فى فكر طه حسين : ابن خلدون نموذجا " .
- شارك فى مؤتمر الإستشراق الذى نظمته جامعة وهران - الجزائر ببحث بعنوان : " جاك برك وترجمة القرآن الكريم " .
- شارك فى مؤتمر " العلاقات الثقافية العربية الأمريكية " بالأردن عام ١٩٩٩ ببحث بعنوان " صورة الأمريكى فى الرواية العربية " .
- شارك فى مؤتمر المناضل التونسي فرحات حشاد فى الجمهورية التونسية بمناسبة مرور نصف قرن على استشهاده وكان البحث بعنوان : " جدل الحركة النقابية بين الوطنية والعالمية " (فرحات حشاد نموذجا)
- شارك فى المؤتمر الذى نظمه معهد العالم العربى بباريس

بمناسبة مرور ٣٠ عاما على رحيل جمال عبد الناصر و الذى عقد عام ٢٠٠٠ وكان بحثه بعنوان : "اشكالية الديموقراطية" .

● شارك فى فعاليات مهرجان الجنادرية ببحث بعنوان : "العولمة وتأثيرها فى الرواية العربية" .

● شارك فى مؤتمر آليات السلطة فى الوطن العربى الذى نظمته مؤسسة التميمي للبحث العلمى لاكثر من مرة منها مؤتمر عام ٢٠٠١ ، وألقى فيه بحث بعنوان : "جمال عبد الناصر وآليات السلطة" .

● شارك فيمؤتمر العولمة وثقافات الشعوب - فنلندا ٢٠٠٢ ، ببحث بعنوان : " تأثير العولمة فى الثقافة المصرية "

● شارك فيمؤتمر حول الطفل الفلسطينى - الاردن ٢٠٠٢ ، و ذلك ببحث بعنوان " اهدار حقوق الطفل الفلسطينى " .

حصل على على جوائز عديدة من جهات ثقافية مصرية وعربية ، أهم هذه الجوائز :

● جائزة وزارة الثقافة المصرية عام ١٩٨٢ .

● جائزة نقابة الصحفيين المصريين عام ١٩٨٧ .

● جائزة المجلس الأعلى للثقافة فى (النقد الأدبى) عام ١٩٩٦ .

● جائزة أحسن كتاب عن عام ١٩٩٦ من معرض القاهرة الدولى للكتاب عن كتاب : " أحمد بهاء الدين : سيرة قومية " . دار هلا ، القاهرة ١٩٩٦ .

● جائزة الدولة التشجيعية فى (النقد الأدبى) .(عام ١٩٩٧ عن كتابه: " الإتجاه القومى فى الرواية " . سلسلة عالم المعرفة - الكويت ، ١٩٩٤ وطبع الكتاب لأكثر من مرة .

● الجائزة الأولى من جامعة المنيا فى الثمانينات عن كتابه " شهرزاد فى الفكر العربى " .

وصلت أعماله إلى أكثر من ستين مؤلفا .

تم تدريس بعض مؤلفاته فى الجامعات الغربية إذ سعت جامعة السوربون بفرنسا إلى تدريس كتاباته عن الفكر السياسى على يد العالم الفرنسى المعروف جاك بيرك وذلك فى قسم الدراسات العليا . له العديد من المقالات والدراسات المهمة فى العديد من الدوريات العربية منها: " عالم الفكر - المستقبل العربى - الناقد - فصول - القاهرة - البيان - الإجتهد .. وغيرها

تناول الإتجاه القومى فى الرواية العربية من خلال بحث دؤوب إستمر لسنوات زار خلالها معظم الأقطار العربية وعقد لقاءات مفتوحة مع أغلب كتاب الرواية العرب للتعرف على مداخلهم الإبداعية كما إنكب على نصوصهم الإبداعية درسا وتحليلا ونقدا .

وعلى هذا النحو ، فان "مشروعه" يتحدد فى عدة محاور لعل من أهمها :

- رصد (اتجاهات النقد العربى الحديث والمعاصر) وقد صدر له منه - بالفعل - الجزء الاول وبقية الاجزاء قيد الطبع .

- اعادة صياغة سلسلة من السيرة الذاتية وادب الرحلة تغلب عليها الطابع الادبى ، منها (قبل الخروج : سيرة ذاتية) و (جسر الجمرات : من ادب الرحلة) فضلا عن اعداده للسيرة القومية التي تمزج بين الذات والخاص عبر كتابات متوالية بعنوان (شرق وغرب) ..

- الجدير بالذكر ان (معجم التاريخ العربى الحديث والمعاصر) وهو المحور الثالث في مشروعه- وهو يعد اول معجم عربى في هذا الاتجاه كتبه المؤلف بوعى علمى وعربى معاصر .

ومازال يواصل اكمال نتاجه عبر هذا المشروع حتى اليوم .



مصطفى عبد الغنى: المؤلفات المنشورة

النقد الأدبي :

- الإتجاه القومى فى الرواية : (سلسلة عالم المعرفة) الكويت ١٩٩٤ .
- (حصل على جائزة الدولة التشجيعية فى النقد الأدبى ١٩٩٧) .
- الطبعة الثانية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٩ .
- الطبعة الثالثة ، الهيئة العامة للكتاب القاهرة ٢٠٠٥ .
- نجيب محفوظ الثورة و التصوف : هيئة الكتاب ، القاهرة ١٩٩٤ .
- الطبعة الثانية ، الهيئة العامة للكتاب ، مكتبة الاسرة القاهرة ٢٠٠٢ .
- الطبعة الثالثة ن الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٥ .
- الشرقاوى متمردا : دار التعاون ، القاهرة ١٩٨٧ .
- قضايا الرواية العربية فى نهاية القرن العشرين : المكتبة اللبنانية المصرية . القاهرة ١٩٩٩ .
- نقد الذات فى الرواية الفلسطينية : دار سيناء . القاهرة ١٩٩٨ .
- الغيم و المطر ، الرواية الفلسطينية من النكبة إلى الإنتفاضة : دار جهاد ٢٠٠٢ .
- الطبعة الثانية ، الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٣ .
- البنية الشعرية عند فاروق شوشة : الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٢ .
- عنصر المكان فى شعر محمد أبو سنة : هيئة قصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٦ .

- زكى نجيب محمود "سلسلة نقد الأدب" : الهيئة العامة للكتاب
القاهرة ١٩٩٢ .

الطبعة الثانية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٥ .

- الخروج من التاريخ " دراسة فى مدن الملح " : الهيئة العامة للكتاب
القاهرة ١٩٩٣ .

- المسرح المصرى فى السبعينات "ج١" : الهيئة العامة للكتاب القاهرة
١٩٧٨ .

- المسرح المصرى فى الثمانينات "ج٢" : الطبعة الأولى ، دار الوفاء
القاهرة ١٩٨٤ : الطبعة الثانية ، الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٥ .

- فى دائرة النقد : المجلس الأعلى للأدب ١٩٨٤ .

- اتجاهات النقد الروائى لمعاصر : "ج١" : الهيئة العامة للكتاب
القاهرة ٢٠٠١ .

- الاتجاه الانسانى فى الرواية العربية ، كتاب الرياض ، مؤسسة
اليمامة ، الرياض ٢٠٠٦ .

الأعمال الفكرية:

- طه حسين و السياسة : دار المستقبل القاهرة ١٩٧٦ .

- تحولات طه حسين : هيئة الكتاب "ج٢" القاهرة ١٩٩٠ .

- طه حسين وثورة يوليو : "ج٣" القاهرة ١٩٨٩ .

- طه حسين الذى لا يعرفه احد ج٤ ، المجلس الاعلى للثقافة ،
القاهرة ٢٠٠٥ .

- المفكر و الأمير ، العلاقة بين طه حسين و السلطة : الهيئة العامة
للكتاب القاهرة ١٩٩٧ .

- المثقفون وعبد الناصر : دار سعاد الصباح ، ط ١ القاهرة ١٩٩٢ .
الطبعة الثانية، دار غريب القاهرة ٢٠٠٠ .
- مثقفون وجواسيس - دراسة فى أزمة الخليج : دار الأمين القاهرة
١٩٩٧ .
- المثقف العربى والعولمة : مهرجان القراءة للجميع ، الهيئة العامة
للكتاب ، القاهرة ٢٠٠١ .
- شهرزاد فى الفكر العربى الحديث : الطبعة الأولى دار الشروق
القاهرة ١٩٨٥ .
- دار شرقيات ط ٢ ، القاهرة ١٩٩٥ .
- الجات و التبعية الثقافية : مركز الحضارة العربية ، القاهرة ، ط ١
١٩٩٨ : مكتبة الأسرة ، هيئة الكتاب ط ٢ ، ٢٠٠١ : مكتبة الأسرة ، هيئة
الكتاب ط ٣ ، ٢٠٠٢ .
- الذاكرة المثقوبة - نهب وثائق العرب ، الهيئة العامة للكتاب ،
القاهرة ١٩٩٩ .
- القراءة للجميع - دراسة وتحليل : مهرجان القراءة للجميع ،
الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠١ .
- مستقبل الجامعة فى مصر : مركز الحضارة العربية ، القاهرة ،
٢٠٠٢ .
- المراكز البحثية العربية - " مركز زايد نموذجاً " (ج ١) ٢٠٠٥ القاهرة
- المراكز البحثية الغربية - صعود الاستشراق الجديد (ج ٢) ٢٠٠٥ .

- مستقبل الفكر القومى العربى ، دار قرطاس ٢٠٠٥ - الكويت .
- وثائق ومذكرات ثورة يوليو ، دار اطلس ٢٠٠٥ القاهرة .
- الرقابة المركزية الامريكية على الانترنت فى الوطن العربى ، دار العين ، القاهرة ٢٠٠٦ .
- المراكز البحثية العربية ، ج ١ روز اليوسف . القاهرة .
- المراكز البحثية الغربية ، ج ٢ تحت الطبع .
- الحوار العربى الغربى ، ج ٣ تحت الطبع .
- اوراق السنين ، تحت الطبع .
- عرب اوروبا .. الواقع والمستقبل ج ٤ ، تحت الطبع .

تاريخ حديث ومعاصر:

- الجبرتى و الغرب - دراسة حضارية مقارنة: الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٥ .
- الفريسة و الصياد - الدور الأمريكى فى إغتيال حسن البنا .
- مذبولى الصغير ، القاهرة ٢٠٠١ .
- مؤرخو الجزيرة العربية: دار الموقف العربى ، القاهرة ١٩٨٠ .
- المؤثرات الفكرية فى الثورة العرباية : الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٢ .
- حقبة الغرب، بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية مركز الحضارة العربية ، القاهرة ٢٠٠١ : الطبعة الثانية، الهيئة العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ٢٠٠١ .

- الاوقاف على القدس واكنافها - دراسة ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٦ .

إبداع مسرحى :

- الحصار : مسرح شعري ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٤٨ .
- الخروج من المدينة : مسرح شعري ، الثقافة الجماهيرية ، القاهرة ١٩٩٥ .
- اللاعب : مسرح شعري ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٦ .

ادب الرحلة :

- جسر الجمرات ، دار الكتاب المصرى اللبنانى ٢٠٣ .
- مشرق ومغرب ، دار الكتاب المصرى اللبنانى

تراجم :

- أحمد بهاء الدين ، سيرة قومية : دار هلا ، القاهرة ١٩٩٦ .
- (حصل على جائزة أحسن كتاب عن عام ١٩٩٦ بمعرض القاهرة الدولى للكتاب) .
- إعرافات عبد الرحمن الشرقاوى : المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ١٩٩٦ .
- عمالقة و عواصف : دار الجهاد ، القاهرة ١٩٩٨ .
- الترجمة :
- الوداع : ترجمة آخر أشعار أراجون : هيئة الكتاب ، القاهرة ١٩٨٦ .

سيرة ذاتية :

- قبل الزهايمر : سيرة ذاتية وفكرية .

معاجم :

- معجم مصطلحات التاريخ العربى الحديث والمعاصر ، الهيئة

العامة .

للكتاب ، ط١ / القاهرة ٢٠٠٢ .



الخلق، خيراً أو شراً". (٣) إنه لا يستطيع أن يخفى السعى من الغرب ونوابه فى المنطقة إلى ارتكاب صنوف الظلم والإفك، أنه ينبه المثقف الأمريكى أنه يتحدث طويلاً - كما نرى فى البيان عن كثير من (طباع الغاب)، ولكن ليشير إلى أن طباع الغاب ليست موجودة فى الإسلام.

من شرق إلى غرب

كما أن الإرهاب الذى يتحدثون عنه كثيراً، ليس قائماً أيضاً فى تعاليمنا، المهم هنا أن نرى كيف يفعل الرجل الغربى فى أبناء المنطقة العربية، وكفى حديثاً عاماً عن الظلم والإفك:

أيا أدباء أمريكا...

تحدثتم طويلاً عن صنوف الظلم والإفك

وأمتنا تعيش الهول تلو الهول

ويُثقلها إذا ما حاولت

أن تكسر الأغلال

لفح من جحيم الحقد والشك

فلسطين التى ترثي

دماء شبابها المرد

لمن تشكو

وما تلاقاه فى هذي المتاهة

مضحك مبك

إنه يذكرهم بما يرتكب فى المنطقة العربية، ويرفض منطق إلصاق الإرهاب بنا، ويذكرهم بأن الغرب فى الأمر أنهم يتحدثون عن (حرب عادلة)، غير أن من ينظر إلى هذه الحرب العادلة - كما يردد -

سيكتشف أنها ليست حرباً عادلة قط، على العكس مما يقول البيان "حرب عادلة"؟ أى حرب عادلة، إن البيان يضيف:

"إننا نعتز أن الحرب رهيبة وتمثّل، في النهاية، فشل الإنسان السياسي. نعلم، أيضاً، أن الخط الفاصل بين الخير والشر لا ينطبق على المجتمعات في ما بينها، ولا على الأديان؛ يمر هذا الخط، جوهرياً، في وسط قلب كل إنسان. في نهاية الأمر، يقرّ ذوو الإيمان من بيننا يهودا ومسيحيين ومسلمين وآخرين بمسؤوليتنا المنصوص عنها في الكتب المقدسة والتي تقتضي الرحمة، ونعمل كل ما في وسعنا لمنع الحرب والعيش بسلام".

فوق ذلك- يضيف البيان - يعلّمنا المنطق والتفكير الأخلاقي النبیه أن هناك حالات تستدعي رداً أولياً ومهماً جداً على الشر لوقفه. هناك أوقات لا يكون فيها إعلان الحرب مسموحاً أخلاقياً فحسب، بل ضرورياً أخلاقياً كرد على فاجعة ناجمة عن أعمال عنف وبغض وظلم. وهذا أحد الأوقات.

تجد فكرة "الحرب العادلة" جذوراً لها في تقاليد أخلاقية مختلفة.

تنتهي هذه الفقرة من البيان لنبحث عن الحرب العادلة لنجدها، فقط في أذهان الإرهابيين الحقيقيين الذين يتحدثون عن حرب عادلة، بإقامة المجازر وانتهاك الأعراض والسجون المغلقة، ومع ذلك، ورغم ذلك، فإن الرد الهادئ الذي يطلقه الشاعر على ما جاء في البيان يحيلنا إلى أن الشر قائم، وهو طبيعة في الناس منذ كانوا، ومن ثم، فينبغي العود إلى العدالة الحقيقية، بفتح الأبواب بين الشرق والغرب،